



59564 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام العارفين
وساقي أرواح السائرين وعلى آل بيته أدلاء الحائرين .
وبعد : فللامام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في كتبه ورسائله
الصغيرة التي أجمل فيها طريقته في التصوف ناحيته العلمية المتأثرة بعصره
وبيئته وفي كتيبه المنقذ من الضلال بعض هذه الآراء العلمية وفي تعليقي
على المنقذ مسست هذه النواحي برفق إذ أن مقصدي من تعليقي على المنقذ
هو تنبيه المسلمين وطلاب التصوف إلى تركيز طريقة الغزالي في التصوف
وهو ما يقصده رضى الله عنه من هذه الكتب والرسائل ، في بعض
قوازين يسيرة يمكن للسائر في طريق القوم معرفتها من تعليقاتنا على المنقذ
ورسالة كيمياء السعادة والقواعد العشر والأدب في الدين والإمام الغزالي
على كثرة ما كتب في التصوف وجمع في كتبه ورسائله من أحوال الصوفية
الذين تقدموه وعلى ما كتب هو عن نفسه في سيرته الصوفية لم يحدد طريقته
عملياً في منهج يمكن أن يكون مختصاً به دون جماهير الصوفية وبالتأمل في
إشارات ونوحياته وإيحاءاته على عادة الصوفية فيما يلقون من إلهاماتهم وبمقارنة
طريقة الغزالي في الوصول إلى الله بطرائق غيره من كبار الصوفية نجد
رضى الله عنه امتاز بطريقة لم يبلغها إلا أفراد قلائل من عباقرة الإسلام
الأولين والآخرين فهذا الإمام الرباني لم تستهوه الفتوحات الإلهية ليجلس

مجلس المشيخة ويجمع عليه المريدين ليقبلوا يديه ورجليه ثم يتبركوا بهاء
وضوئه ويجلسوا بين يديه كأن على رؤوسهم الطير لم يفعل هذا وإنما اختل
ثانياً واعتكف على تدوين مبادئ الصوفية ودساتيرهم التي سار عليها والتي
وصل بها إلى هذا المقام الفريد ثم ابتداءً يشرح القلب الإنساني الذي هو
محل التربية والترقي ويبين علله وأمراضه وخواطره وهو اجسه وما يلم به
بطريقة لم يسبق بها كالم يلحق به أحد في بيان أحوال القلب وتشريحه هذا
التشريح الروحي الذي تراه في كتبه المطولة ورسائله الصغيرة لم يتحدث
الغزالي في كتبه ورسائله عن المشيخة والإرادة والمشايخ والمريدين كما تحدث
عن ذلك صوفية القرون الوسطى كالإمام أبي الحسن الشاذلي وسيدى
أبي العباس المرسي وسيدى إبراهيم الدسوقي والإمام الشعراني في العصور
المتأخرة ذلك أن تصوف الغزالي لم يكن على يد الشيوخ وإنما كان عن
طريق اعتناق المبادئ والعزائم الجبارة التي لم تمنح إلا لأفراد قلائل من
أمة الإسلام المبرزين في علوم الشريعة والحقيقة وطريقة الغزالي قسمت
التصوف قسمين فتصوف المبادئ والإطلاق والحرية الروحية وعدم
التلقين والائتمام والتقليد قام ذلك التصوف على الاعتراف من الإلهيات
والنبوات مباشرة ثم تصوف الخرقه والمشيخة والإرادة وهو تصوف
مابعد الغزالي إلا أن تصوف المشيخة والإرادة كان في العصور الوسطى
يصحبه الإخلاص في الشيوخ والمريدين وفيه نوع تربية وتهذيب ولكنه
على أي حال أقل من تصوف الغزالي ومن على شاكلته من رجال سبقوه
وإن لم تصل إلينا مناهج تربيتهم لأنفسهم كاملة لكن نقل في الحلبة لأبي

نعيم وفي طبقات الشعراى ورسالة القشيري كثير من عباراتهم التي يؤخذ منها روح منهجهم العام وذكر في طبقات الشعراى كثير من عبارات متصوفة المشيخة والإرادة وإليك طائفة من عبارات وأحوال متصوفة الطورين ومن التأمل في هذه العبارات والأحوال تدرك مدى ما بين الطورين من السمو والانحطاط كان أويس القرني وهو من الرعيل الأول في تصوف المسلمين لا يرى إلا كل سنة أو سنتين مرة لأنه لما نسب إلى الجنون بنى له خصا على باب داره فكانوا لا يرونه يخرج إلا في النادر، قال له رجل أوصني فقال: وصيتي إليك كتاب الله تعالى وسنة المرسلين وصالحو المؤمنين، وطلب شخص أن يجالسه فقال يا أخى لا أراك بعد اليوم فإنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى، إنى كثير الغم مادمت مع الناس فى هذه الدنيا فلا تسألنى ولا تطلبنى بعد فراقك فإنى لا أنساك يا أخى وإن لم أرك وترنى، وكان إبراهيم بن أدهم يغلق بابه من خارج فيجىء الناس فيجدونه مغلقا فيذهبون وقال سهل بن عبدالله مخالطة الولى للناس ذل وتفردة عنهم عز وقلما رأيت وليا لله عز وجل إلا منفردا وقال إبراهيم الخواص لقيت الخضر عليه السلام فى بادية فسألنى الصعبة فخشيت أن يفسد على توكلى بالسكون إليه ففارقته وقال أبو يزيد البسطامى أن أولياء الله مخدرون فى جنان الانس لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة وعرف الجنيد سيد هذه الطائفة التصوف فقال: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله الصبر عن الدنيا كما قال حارثة صرفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى، وكان رضى الله عنه يقول: الغفلة عن الله تعالى

أشد من دخول النار ، وكان يقول : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فلا يلق الناس فان هذا زمان وحشة فالعاقل من اختار فيه العزلة هذه بعض عبارات وأحوال المتصوفين في فجر الإسلام على نهجهم تصوف الغزالي فطرح جميع العالم وأمسك الشريعة بظاهره واعتصم بالنبي بباطنه وصدق بالعين الباطنة التي مثلها كثيراً بالباصرة في صفات الحق والاستغراق في التنزيه والتوحيد حتى امتلأ أناؤه من العلوم والمعارف التي ينهل منها كل من أشرف على هذه الرياض فالتصوف عنده كمن سبقه أحوال ومقامات ومجاهدات ومكاشفات وسياحات . وقد كان حرص المتصوفة في فجر الإسلام شديداً على أن يعرف كل واحد منهم مبلغ ما وصل إليه زميله وبماذا وصل فلم يتلمذ أحدهم للآخر كانت جمعياتهم قليلة والتقاءاتهم نادرة يقصدون التفرد والبعد عن الشواغل والصور الحاجبة عن السير ثم فترت الهمم فأصبح التصوف مشيخة وإرادة واشتغال المریدون بشيوخهم واشتغل الشيوخ بمریديهم ثم تركزت هذه الصناعة حتى أصبحت حجراً روحياً بين كل طائفة وطائفة وأصبح الشيخ يعرف مریده في صلب أبويه فلا يمكن أن يتعدى على مریده أحد بعد أن أصبح في خرقته فاسمع السهروردي في عوارف المعارف حين يتكلم على لبس هذه الخرقه .

« لبس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المرید وتحكيم من المرید للشيخ في نفسه والتحكيم سائق في الشرع لمصالح دنيوية فإذا ينكر المنكر للبس الخرقه على طالب صادق في طلبه يتقصد شيخاً يحسن ظن و عقيدة بحكمه في نفسه لمصالح دينه ويرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجهه ويبصره

بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم
لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة إظهاراً للتصرف فيه
فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ
دخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق
أنه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر وهو
كما قال ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون
لها كهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر
يكون أحسن حالاً وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وسمعت كثيراً من
المشايخ يقولون من لم ير مفلحاً لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم
والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء فالمرید الصادق إذا دخل
تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى
باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید
ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى
المرید بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حصر نفسه
مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفقى في الشيخ بترك اختيار نفسه
فبالتألف الإلهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة
الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متادباً بترك

الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخير كله الصحة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك انتهى .

هذه صورة من تصوف القرون الوسطى ومدرسته أى مدرسة ما بعد الغزالي وهى أى مدرسة المشيخة والإرادة لم تخرج مثل الغزالي بل أكابر هذه المدرسة لم يلحقوا بالغزالي إلا بعد إن نزعوا عنهم لباس المشيخة والإرادة فهذا أبو الحسن الشاذلى سأله سائل من شيخك ؟ فقال كنت أنتسب إلى للشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر محمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر وقد انتقل حال الشاذلى إلى تلميذه الأكبر سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه فإنه لم يتفق بالأنوار إلا من حضرة النبى صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه : لى أربعون سنة ما حجت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو حجبت طرفه عين ما عدت نفسى من جملة المسلمين وقال القطب الكبير سيدى إبراهيم الدسوقى « وأن رسول الله شيخى وقدوتى » وأياما كان فالتصوف لا بد له فى سيره من روح تلازمه وترضعه وتسقيه فأصحاب الهمم العالية لم يرضوا بغير النبى صلى الله عليه وسلم إماماً ورفيقاً وهؤلاء أعلام الصوفية ومنهم من انحط للرى من الأنهار والمساقى فبعد عنه الساقى وتغير عليه الماء من كثرة مامر فى السبل والطرق والغزالي شرب من النبع الأول فصفا شرابه ونفع الله بعلومه الناس .

وقد تحتمق عندي بالوجدان الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم
لا زال يرى رجال الله بالتربية الباطنية التي خصه الله بها كما خص بها بعض
كلمة الهداة من أعلام الطريق وأن من سبقت له العناية يسوقه الله إلى هذا
المورد الأصفي وقد قال سيدي الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي عن نفسه « لست بميت وإنما موتي
عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله وأما من يفقه عن الله فهذا أنا أراه
ويراني » وألف ابن خلدون رسالة في أن الشيخ ليس بلازم في الطريق
وقد علمت أن الصحبة في طريق أهل الله إنما كانت في بدء ظهور التصوف
للنصح أما التربية والسقيا فما كانوا يخصصون بها أحداً غير النبي صلى الله
عليه وسلم فالزم طريق السلف ولا تقيد نفسك بخرقة إنما قيدها
بالسنة والشريعة ففي حضرة الاطلاق رتع المحبون ؟

محرر محمد جابر

من علماء الأزهر والمدرسين به

نبذة من ترجمة الامام ابي حامد الغزالي

مولده و منشؤه : — ولد الغزالي في مدينة طوس من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفي والده قبل أن يبلغ سن الرشد . فنشأ معتمداً على نفسه . مندفعاً إلى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة في تلك النفس الكبيرة . فتلقى مبادئ العربية والفقهاء في بلده . وانتقل إلى جرجان فقرأ مبادئ الأصول على أحد أعلامها وعاد إلى طوس .

رحلته : — ولم يمكث الإمام طويلاً ببلدته بعد أوبته من جرجان ، فقام برحلته العلمية التي أرشدته إلى العلم الصحيح ، وأذاعت شهرته في الخافقين فقصده نيسابور حيث لازم إمام الحرمين الجويني مدة انتهت بوفاة الجويني سنة ٤٧٧ هـ وانتقل إلى العراق وقد سبقه اسمه إلى تلك الآفاق ، فاتصل بالوزير نظام الملك ففوض إليه مهمة التدريس بمدرسته (النظامية) ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقام بيت العلم ويصنف الأسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره إلى مفارقة العراق ، فرحل إلى الحجاز حاجاً ثم أتى الشام فأقام في القدس نحو سنتين ، ورحل إلى الديار المصرية فنزل بالاسكندرية ، وعاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه - طوس - منقطعاً إلى العبادة ، فألزمه نحر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور فدرس بها مدة قصيرة وعاد إلى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس .

مصنفاته : — قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الإمام الغزالي ، وقد ترجم الكثير منها إلى اللغات الأجنبية كرسائله

- الولدية - فقد ترجمت إلى الألمانية باعتماد العلامة - فون هامر بورغستال
 النمساوى - والدره الفاخرة في أحوال الآخرة - ترجمت إلى اللغة
 الفرنسية باعتماد العلامة غاوتيه . ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب
 الغزالي بقي محفوظا لم يصبه ما أصاب سواه من الضياع والاندثار ، وفي
 هذا دليل على إقبال العلماء والمتعلمين في أيام الغزالي وبعده على نقل
 مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها - ومن جملة المطبوع من كتبه في
 مصر وغيرها على ما انتهى إلينا العلم به .

إحياء علوم الدين ، المنقذ من الضلال - الذى نحن الآن بصدده -
 عمدة المحققين ، تهافت الفلاسفة ، الدرر الفاخرة مكاشفة القلوب ، منهاج
 العابدين ، بداية الهداية ، وسر العالمين ، المضمون به على غير أهله ، الأجوبة
 الغزالية والمسائل الأخروية ، محك النظر ، المقصد الأسنى ، الحكمة في
 مخلوقات الله ، الاقتصاد في الاعتقاد ، إجماع العوام ، المستصفي ، الوجيز ،
 آداب الصوفية ، الكشف والتبيين ، معارج القدس في مدارج معرفة
 النفس « جواهر القرآن » الأربعين في أصول الدين « ميزان العمل » معيار
 العلم ، مقاصد الفلاسفة ، القصيدة الهاثية ، القصيدة التائية أضف إلى هذا
 المجموعة المسماة بالجواهر للغزالي وفيها عشر رسائل أخرى وهي - كيمياء
 السعادة ، الرسالة اللدنية ، الأدب في الدين ، أيها الولد ، فيصل التفرقة
 القواعد العشرة ، مشكاة الأنوار ، رسالة الطير ، الرسالة الوعظية ،
 القسطاس المستقيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة و المدخل

الحمد لله الذي يفتح بحمده كل رسالة ومقالة ، والصلاة على محمد المصطفى صاحب النبوة والرسالة ، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضلالة .
 أما بعد : فقد سألتني أيها الأخ في الدين ، أن أثبت إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وما استجرات عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع (١) الاستبصار ، وما استفدته أولاً من علم الكلام ، وما احتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام ، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف (٢) وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف ، وما انجلي لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الحق من لباب الحق ، وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، وما دعاني إلى معاودتي نيسابور بعد طول المدة ، فابتدرت لإجابتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك

(١) يقع الغلام راهق العشرين أو ترعرع وناهز البلوغ .

(٢) تفلسف الرجل تعاطى الفلسفة والفلسفة الحكمة . وعتد المتأخرين

معرفة الأشياء بعلمها .

وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوثقا منه ، وملتجئا إليه .

إعلموا - أحسن الله تعالى إرشادكم ، وألان للحق قيادكم ، أن اختلاف الخلق في الأديان والملل ، ثم اختلاف الأئمة في المذاهب كثرة الفرق وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون ، وما نجامنه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجي ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، هو الذي وعدنا به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه ، وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة . الناجية منها واحدة (١) » ، فقد

(١) الحديث في افتراق الأمة موجود في الصحيحين وفي السنن الأربعة . افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، يقول العبد الضعيف إنني لا أدري أكان تقحم الغزالي وتفحصه للمذاهب والعقائد مدى ثلاثين عاما عمليا سلبيا أو إيجابيا قدم به الغزالي للامة الاسلامية ثقافات جديدة أم هو ضياع وقت ثمين من عمر فيلسوف عظيم كالغزالي ، إن البحث عن الحقيقة بعيداً عن الكتاب والسنة ومناهج الصحابة والتابعين واشتغال علماء المسلمين وفلاسفتهم بالالهيات التي لم يأمرهم القرآن بالبحث فيها وترك الجهاد والفتح ونشر الدعوة أضعاع على المسلمين فرصا ذهبية في نشر دعوتهم وثقافتهم لو أن فلاسفة الغرب أضعوا أعمارهم في علاقة المادة بما وراءها أو في أن الذات لها صفات أم لا أو في القدر أو في الأرجاء لم وصلوا إلى امتلاك ناصية الكرة يدبرونها كما يشاءون ويسخرون المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عبيداً أذلاء يتصرفون في ديارهم وأموالهم تصرف الوصي على السفية والمسلمون مشغولون بتكفير بعضهم بعضا .

كاد ما وعد أن يكون .

ولم أزل في عنفوان شبابي ، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على الحسين ، اقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور . لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة . واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ، ومتسنان ومبتدع لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطائه ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا (١) معطلا (٢) إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعنا في جبلتي ، لا باختيارى وحيلى حتى انحلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد شرة (٣) الصبا إذا رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم

(١) الزنديق من يبطن الكفر ويظهر الايمان — فارسية معربه — .

(٢) المعطله فرقة تقول بأن الله عام بذاته سميع بذاته لا بصفة زائدة فهم

معطلون للصفات ،

(٣) شرة الشباب أو الصبا نشاطه .

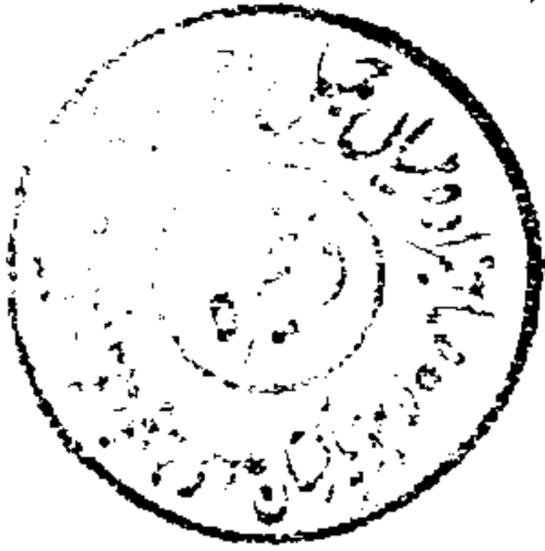
نشوء إلا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . وسمعت الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (١) فتحرك باطنى إلى حقيقة الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتميز بين هذه التقليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفى تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات ، فقلت فى نفسى ، إنما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهى ؟ فظهر لى أن العلم اليقيني هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا لليقين مقارنه لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعبانا ، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ، فإنى إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لى قائل : لا ، بل الثلاثة أكثر بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم أشك بسببه فى معرفتى ، ولم يحصل لى منه إلا التعجب من كيفية

(١) رواه البخارى بلفظ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ « كل إنسان تله أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فان كانا مسلمين فمسلم - كل إنسان تله أمه يلكزه الشيطان فى خصيه إلا مريم وابنها . »

قدرته عليه ، فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل مالا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني .



(١) مداخل السفسطة (١)

وجحد العلوم

ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسيات والضروريات . فقلت : الآن بعد حصول اليأس لا مطمع فى اقتباس المشكلات إلا من الجليات ، وهى الحسيات والضروريات . فلا بد من إحكامها أولا لا تيقن أثقتى بالمحسوسات وأمانى من الغلط فى الضروريات ، من جنس أمانى الذى كان من قبل فى التقليديات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق فى النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غائلة له ؟ فأقبلت بجد بليغ اتأمل فى المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكنى أن أشكك نفسى فيها ؟ فاتهى بنى طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسى بتسليم الأمانى فى المحسوسات أيضا .

(١) السفسطة والسفسطة المغالطة وهى قياس مركب من الوهميات والنسبة إليه سفسطى وربما قيل سوفسطائى يونانية معربة .

وأخذ يتسع (١) هذا الشك فيها ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ،
وأقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك ،

(١) الواقع أن هذا الحال عند الغزالي لم يكن من خصائصه فلقد مر هذا
الدور على جميع أكابر العارفين ويسمون هذا المقام بمقام الحيرة ، مر العلاج
وهو مقيد في يد الشرطة على بعض الحوارى فسأل ما هذه الحارة فقيل له
هذه حارة اليهود فقال والله ما حارة اليهود وإنما حارت الأنبياء والذين يريد
الله اصطفاءهم لحضرتهم يتدرج بهم في طرائق معرفته عن طريق مخلوقاته في
الملك والملكوت فيريهم آياته ويسيع عليهم نعمة معرفته والاطمئنان إليه
أن الوصول إلى المحبوب من أقصر طريق لا يجعل للعبة لذة ولكن
المكابدة والتخبط في السبل ثم الوصول إلى المقصود يمكن المحبة ويجعل
المحبوب في المكان الأرفع ، وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات
والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا
ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما
أفل قال لئن لم يهدنى ربى لا كونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ،
ولما فوجيء السيد الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في غار حراء بسيدنا
جبريل فزع وخاف على نفسه وذهب إلى خديجة وأخبرها الخبر فبعثت إلى
ابن عمها ورقة بن نوفل ولما حضر طمان الرسول على حاله وأخبره أن
هذا هو سبيل الأنبياء يفاجئون بالحقيقة فلا يدرون أفي يقظة هم أم في منام
أبرون الحق أم هم في أوهم ثم تنكشف شمس الحقيقة لمن سبقت لهم من
الله الحسنى .

وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغتة ، بل على التدريج ذرة ذرة ، حتى لم تكن له حالة وقوف وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار الدينار ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار . وهذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحسن بأحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكديبا لا سبيل إلى مديافته فقلت : قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا ، فاعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات ، كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد لا يكون حادثا قديما ، موجودا معدوما ، واجبا محالا . فقالت المحسوسات ، بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ؟ فلعل وراء إدراك العقل حاكما آخر ، إذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلى ذلك الإدراك ، لا يدل على استحالته . فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا ، وأيدت إشكالها بالمنام وقالت : أما تراك تعتقد في النوم أمورا وتخيّل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ فتعلم أنهم لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون

يقظتك نوماً بالإضافة إليها فإذا وردت تلك الحالة تبقت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها، ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم: إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذا غاصوا في أنفسهم وخابوا عن حواسهم، أحوالاً توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، فلعل (١) الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك: «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»، فلما خضرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس، حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل، ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية. فإذا لم تكن مسلسلة لم يمكن ترتيب الدليل فأعضل هذا الداء، ودام قريباً من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال

(١) وقد سار الغزالي مع ديكرت في الطريق الذي ملكه أعنى طريق الشك ثم اليقين وإن كانت النتيجة التي وصلت إليهما ليست شكلاً يناسب ثقافة كل منهما فالغزالي بعد ما شك في البدهيات قذف الله في قلبه نوراً اطمأن به وذهب عنه الشك من تراكم الأتوار الآلية من تلك الحقيقة الوجودية والفيلسوف الفرنسي حصلت عنده هذه الوجدانيات من قرارة نفسه وهي مظهر من عالم الغيب فلم يشك في نفسه التي سطعت فيها مرآة الحقيقة.

ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ، ولما سئل رسول الله عليه السلام عن «الشرح» ومعناه في قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » فقال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » فقيل : « وما علامته » ؟ فقال التجاني عن دار الغرور والإناية إلى دار الخلود وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره (١) » فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحياء ، ويجب الترصده كما قال عليه السلام « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » (٢) والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجهد في الطلب حتى ينتهي إلى طلب ما لا يطلب . فإن الأوليات ليست مطلوبة ، فإنها حاضرة .

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي وابن جرير والطبراني والحاكم إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، وحديث شرح الصدر المذكور في تفسير أبي السعود والنسفي .

(٢) معنى هذا رواه ابن النجار عن ابن عمر ورواه البيهقي وأبو نعيم والحكيم عن أنس والبيهقي عن أبي هريرة بانفط . اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن له نفحات من رحمته ، الحديث .

والحاضر إذا طلب فقد واختنى. ومن طلب مالا يطلب، فلا يتهم
بالتقصير في طلب ما يطلب.

أصناف الطالبين

- ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده،
انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق:
- ١ - المتكلمون: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر.
 - ٢ - الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والخصوصون
بالاقتباس من الإمام المعصوم.
 - ٣ - الفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.
 - ٤ - الصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة
والمكاشفة (١).

(١) ليت شعري أين الفرقة التي أخبر عنها الصادق المصدوق بقوله
« ما أنا عليه وأصحابي، وهو ما أخبر عنه القرآن بقوله « وأن هذا
صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » أفادت
الآية أن طريق الحق واحدة وأن للباطل طرقاً متعددة لا واحدة وتعددتها
لم يحصى بعدد مخصوص وهذا الحديث مفسر للآية وهو قول ابن مسعود
رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ مستقيماً وخط
خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله فقال خط رسول الله صلى الله عليه
وسلم هكذا فقال للخط المستقيم « هذا سبيل الله » وللخطوط التي عن
يمينه وشماله هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، فني =

فقلت في نفسي : الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة فهو لاء هم
السالكون سبل طلب الحق فإن شذ الحق عنهم ، فلا يبقى في درك الحق
مطمع ، إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتة إذ من شرط

— الحديث أنها خطوط متعددة غير محصورة بعدد فلم يكن لنا سبيل إلى
حصر عددها من جهة النقل ولا لنا أيضاً سبيل إلى حصرها من جهة
العقل والاستقراء . أما العقل فانه لا يقضى بعدد دون آخر لانه راجع إلى
طمر غير محصور بدليل أن الزبغ راجع إلى الجهالات ووجوه الجهل
لا تنحصر فصار طلب حصرها عناء من غير فائدة . وأما الاستقراء فغير
نافع أيضاً لأن البدع تزداد على الأيام . قد تقول إن الصوفية هم الفرقة
الناجية لأنهم في الحقيقة لا يخرجون عما عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه لكن الامام الغزالي يقصد من الصوفية معنى خاصاً يعنى بها الطائفة
التي انكشفت لها بعض حقائق الوجود أما غيرهم ممن سار على نهج السلف
ولم تنكشف له الامور إلى درجة عين اليقين فليس لهم في تقسيم الغزالي
ذكر وقد كان للغزالي مجال واسع في البحث عن الحقيقة عن طريق الكتاب
والسنة فالآية الثانية من السورة الثانية تقرر أن الكتاب لاشك فيه وهنا
يبعث عن الحقيقة في ضوء عدم الشك في الكتاب ويستتبع هذا البحث في
الوحي والنبوة والمعجزة فالنبوات والتصديق بها هي طريق اليقين وقد
صرح الغزالي في الفصل الأخير بأن اليقين إنما يصل من هذا الطريق
بكيفيات أبانها رضى الله عنه ويظهر أنه لم يصل إلى هذا إلا بعد كفاح
عنيف في مسالك لوصول وهذا ليجعل الله منه مثلاً للمتأهين لهذه المقامات
حتى لا يصلوا من بعده في مفاوز الطرقات والمعتقدات وليبحثوا عن الحقيقة
في دائرة الوحي أولاً .

المقلد أن لا يعلم أنه مقلد فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده ، وهو
شعب لا يرأب ، وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف ، إلا أن يذاب بالنار ،
ويستأنف له صنعة أخرى مستجدة .

فابتدرت لسلوك هذه الطرق ، باستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئاً
بعلم الكلام ومثلياً بطريق الفلسفة ، ومثلياً بتعليم الباطنية ، ومربحاً
بطريق الصوفية .

١ - علم الكلام

مقصوده وحاصله

ثم إنى ابتدأت بعلم الكلام فخصته وعقلته ، وطالعت كتب المحققين
منهم ، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف . فصادفته علماً وافياً بمقصوده ،
غير واف بمقصودي ، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة على أهل
السنة ، وحرصاتها عن تشويش أهل البدعة . فقد ألقى الله تعالى إلى عباده
على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما
نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة
أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها
فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام
مرتب ، يكشف عن تلييسات أهل البدعة المحدثه ، على خلاف السنة
المأثورة ، فمنه نشأ علم الكلام وأهله ، فلقد قام طائفة منهم بما نديهم
الله تعالى إليه فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة

بالقبول من النبوة والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة . ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلبوها من خصومهم واضطروهم إلى تسليمها إما التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ، وهؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم . وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً . فلم يكن الكلام في حق كافياً ، ولا لدائى الذى كنت أشكوه شافياً . نعم ، لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود عليهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى . فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة ، في اختلافات الخلق . ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك الغيرى (١) بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة

(١) لا ريب أن الامام الغزالي قد حسن الظن بنتائج هذا العلم في عقول المسلمين فيما بعد ولكن الواقع أن اشتغال علماء المسلمين وعبابرتهم بمسائل هذا الفن التي اختلطت ببعض مسائل فلسفية مشوشة لآمنت إلى العقلية الاسلامية الاولى بصلة أوضاع أوقات هذه العقول الكبيرة فيما لا يقدم الأمة إلى الامام خطوة إن عقيدة الاسلام بسيطة سهلة لم يعقدها إلا علم الكلام الذى أصبح يستمد موضوعه من مباحث فلسفية لا علاقة لها بالاسلام من قريب أو بعيد ولذا لم يصل الغزالي به إلى الحق ولو أنك قدمت كتاب العقائد الفلسفية لعالم مستشرق مثلاً ليبنى على ما فيه عقائد للنفس من الاسلام ولايقن أن عقيدة الاسلام غير قابلة للفهم .

ولكن حصولاً مشروباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات والغرض الآن حكاية حالي، لا الإنكار على من استثنى به فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر!

٢ - الفلسفة (١)

محصولها - المذموم منها ومالا يذم - ما يكفر به قائله ومالا يكفر به - وما يبتدع فيه وما لا يبتدع - بيان ما سرقة الفلاسفة من كلام أهل الحق - بيان ما مزجوه بكلام أهل الحق لترويج باطلهم - كيفية عدم قبول البشر ونفرة النفوس من ذلك الحق المزوج بالباطل - كيفية استخلاص الحق الخالص من المزيج والبهرج من جملة كلامهم .

ثم إنى ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة . وعلت

(١) الفلسفة رمز لثورة الانسان على الانسان والفلاسفة حملة لواء هذه الثورة ضد المحتكرين توجيه الانسان لا باسم الانسانية وهي في الوقت نفسه عنوان في نظر الفلاسفة على المنهج المثالي لحياة إنسانية معتدلة لا إفراط ولا تفريط فيها وترى الفلسفة إلى تحديد الوجود وشرح عوالمه وأنواعه ووضع الأسس التي يصل بها الانسان إلى غاية الوجود كله وليس الفلسفة بالدين إلا علاقة التوجيه لخير الانسان لا هدم الدين إت الاتجاه الفلسفي الذي يحاول أن يهدم الدين ليس هو الاتجاه المثالي من بين اتجاهاتها بل هو ذلك الاتجاه الذي يحارب المثالية في أي صورة لها فلسفية أو دينية وأجدد النزاع أن لا يكون بين الفلسفة والدين بل بين المادية والمثالية

يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم في أصل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة ، وإذا ذلك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقا . ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته وهمته إلى ذلك .

ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم ، حيث اشتغلوا بالرد عليهم ، إلا كلمات معقدة مبددة ، ظاهرة التناقض والفساد ، لا يظن الاغترار بها بعامل عامي ، فضلا عن يدعي دقائق العلوم . فعلت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رد في عمائة . فشمرت عن ساق الجد ، في تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغى من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد .

فأطلعنى الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلصة ، على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أواظب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره ، حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتليس ، وتحقيق وتخيل ، اطلعا عالم أشك فيه فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم ، فإني رأيتهم أصنافا ، ورأيت علومهم أقساما ، وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والالحاد ، وإن كان بين القلماء منهم والأقدمين ، وبين الأواخر منهم والأوائل ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه .

أصناف الفلاسفة

واتصاف كافتهم بالكفر

إعلم : أنهم ، على كثرة فرقتهم واختلاف مذاهبهم ، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : الدهريون ، والطبيعيون ، والآلهيون .

١ - الصف الأول : الدهريون - وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبداً (وهؤلاء هم الزنادقة) (١).

(١) حشر فرقة الزنادقة في مجموع الفلاسفة غير مسلم فالزنديق لا يمت إلى الفلسفة بشيء وجعل من يقول ما يهلكنا إلا الدهر من الفلاسفة غير مسلم بل هؤلاء كفار بنص القرآن مخلدون في النار إن لم يكونوا أهل فترة أو لم تبلغهم الدعوة واتصاف كافة الفلاسفة بالكفر دعوى غير مسلية والبشرية في نمو معارفها كالجسم متدرجة تنمو تدريجاً وليس من سنة الله في الكون بلوغ الكمال طفرة على أن الهوة بين الفلسفة والأديان ليست كما أراد أن يقرره الغزالي فالفلسفة الأفلاطونية مثلاً تدعو إلى إنسان فاضل ومجتمع بشري أفضل وارتضت فيما بعد الطبيعة أن تكون الموجودات فيما بعدها مثلاً ونماذج لموجوداتها وبحكم أنها مثل ونماذج تكون في وضع الغايات والمقاصد تنبجها موجودات الطبيعة نحوها وتحاكيها في سعيها وحركاتها والموجود الطبيعي لذلك ليس غاية في نفسه وما فيه لا يصح =

٢ - الصف الثاني : الطبيعيون - وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم

الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض في علم تشریح أعضاء الحيوانات ، فأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها . ولا يطالع التشریح وعجائب منافع الأعضاء مطالع ، إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكامل تدبير الباني لبنية الحيوان ، لا سيما بنية الانسان . إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم لاعتدال المزاج ، تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا . فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار ، والحشر والنشر ، والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للعصية عقاب ،

= أن تقف حركات الانسان عنده ورأت الأفلاطونية في دائرة السلوك الاخلاقي أن الفضيلة العليا العدل أي التوازن بين قوى النفس ليسيطر العقل الانساني على قوى الغضب والشهوة وهكذا فلسفة أرسطو تقوم على المثالية وتقصد إلى غايات غير مادية في النهاية وإن بدا عليها طابع الطبيعة وعند أرسطو واجب الوجود غاية الوجود وهو مجرد عن المادة ومطلق من تحديدها وإليه يسعى الوجود كله في حركته والاسلام جعل غاية الوجود في الله والله في رأيه فوق الوجود المادي وسعى الانسان يجب أن يتجه إلى الله وحده وسلوك الانسان الفاضل ما نشأ إلا عن حب الله فليس إذا بين الاسلام والفلسفة في أصلها عداوة .

فاحل عنهم اللجام ، وانهمكوا في الشهوات إنهمك الانعام (١).

وهؤلاء أيضاً زنادقة : لأن أصل الإيمان : هو الإيمان بالله واليوم الآخر . وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

٣ - الصف الثالث : الألهيون - وهم المتأخرون منهم مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس ، وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق ، وهذب لهم العلوم ، وحرر لهم ما لم يكن محرراً من قبل ، وأنضج لهم ما كان فجاً من علومهم . وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية ، وأوردوا في الكشف عن فضائحتهم ما أغنوا به غيرهم . وكفى الله المؤمنين القتال ، بتقاتلهم . ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط . ومن كان قبله من الألهيين ، ردأ لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم . إلا أنه استبق أيضاً من ردائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها ، فوجب تكفيرهم (٢) وتكفير

(١) إن منكرى البعث و فرق الكفر بعيدون عن الفلسفة فلا معنى لخلط الفرق بعضها ببعض فالفلسفة هي المعارف الانسانية المتعلقة بالأفكار الكلية والوجود المطلق فلو أن الغزالي قرر أن معارف الفلاسفة لم ترو ظمأه وترك مسألة التفكير وعدمه جانباً لكان ذلك أنسب بشرح حاله الذي يريد أن يجعله مثلاً يحتذى في البحث عن الحقيقة في الكون .

(٢) أن رمى عباقرة الانسانية بالكفر أمر غير مسلم بعمومه وكثير على المسلمين . أن يكفروا العقليات التي لم تلد الانسانية ولن تجود مثلها فإن سيدنا ألم بكل معارف عصره إماماً عجيباً حتى قن الأجيال اللاحقة التي خلقت

شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين ، كابن سينا والفارابي وغيرهما . على أنه

== منه شخصاً أسطورياً هائلاً ولقد حلت كتبه الفلسفية على كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال اللاحقة قال ابن خلدون ، وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة ، أما آراؤه فهو يرتب النفس ترتيباً تصاعدياً فيحدث أولاً عن النفس النباتية ثم الحيوانية ثم الناطقة أما آراؤه في العقل فهي تخالف آراء سلفية الكندي والفارابي بعض المخالفة نظر إلى العقل على أنه قوة تستكمل بالمعقولات شيئاً فشيئاً والعقل يكتب العلم بالفكر والحس والفكر حركة للنفس الناطقة تبحث بها عن الحدود المطلوب ما حتى إذا ظفرت بها رتبته في مقدمات قياسية أما الحس فهو ظفر بالمطالب وحدودها الوسطى دفعة واحدة وعلم الأنبياء حس وعقلهم قدسي وهكذا يجعل ابن سينا علم الأنبياء أرفع علم علي خلاف الفارابي الذي يرى علم الفلاسفة أوثق وأبعد عن الخيال والرمز والمعقولات عنده تفيض عن عقل خارج عنا أزلى أيدي أما الهياته فموضوعها البحث في الوجود المطلق ، ويبدأ ابن سينا الهياته بتحديد صلة الوجود بماهيات الأشياء فيرى أن هناك من الأشياء ما لا يؤخذ في حده معنى الوجود كالمثلث مثلاً فأنا نتمثله خطأ وسطحاً ولا تتمثله موجوداً مثل هذا الشيء وجوده زائد على ماهيته عارض عليها وهو يحتاج في وجوده إلى علة ولما كانت العلة لا بد أن تنتهي لامتناع الدور والتسلسل فلا بد من الانتهاء إلى علة أولى بالاطلاق ماهيتها عين وجودها وهذه العلة لا نستطيع أن نتمثلها معدومة لأن ماهيتها الوجود نفسه ولأنها مبدأ كل موجود هكذا يؤدي التمييز بين ماهية الشيء ووجوده إلى التمييز بين الممكن والواجب إذ الممكن ما يستوى وجوده وعدمه والواجب هو الضروري الوجود الذي يترتب على عدمه

لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخطيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ، وما لا يفهم كيف يرد أو يقبل؟ وبمجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس ، بحسب نقل هذين الرجلين ، ينحصر في ثلاثة أقسام :

(١) قسم يجب التفكير به (٢) وقسم يجب التبديع به ، (٣) وقسم لا يجب إنكاره أصلا ، فلنفصله .

عدم كل موجود ويقابلها العالم والله على الترتيب ولقد كان العالم عند أرسطو قديمه قدم الله ومثل هذه الاثنية لا تتفق مع نزعة المسلم إلى التوحيد لذلك لما اضطر ابن سينا إلى القول بقدم العالم حتى يجعل أفعال الله قديمه مثله رأى أن يجعل الله متقدما على أفعاله القديمة بالذات لا بالزمان والزمان نفسه — مع أنه قديم مخلوق أيضا تقدمه الواجب بالذات لا بزمان آخر وقد فاض العالم عن الله بمحض إرادته لا عن حاجة إلى ذلك فكان عنه أولا العقل الأول الذي هو ممكن في ذاته واجب يعلنه وهذان الاعتباران في العقل الأول عما بدء حدوث الكثرة في الوجود وفاض عن العقل الأول . عقل ثان وهكذا تستمر الموجودات في التكثر فيصدر عن كل عقل عقل آخر ونفس فلكية وجرم سماوي حتى ينتهي الصدور إلى العقل العاشر وهو الفعال في عالمنا هذا وهو على عكس أرسطو يرى أن العقل الأول هو المحرك الأول لا الله وإله أرسطو لا يعقل إلا ذاته وهو مشغول بها عما عداها أما إله ابن سينا فليس يعقل ذاته قط بل يعقل الماهيات الكلية كما يدرك الجزئيات فلا يعزب عنه مثقال ذرة وتخطيط عنابة الله بكل شيء .

59564

أقسام علومهم

إعلم: أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي تطلبه ستة أقسام: رياضية ومنطقية، وطبيعية وإلهية، وسياسية وخلقية.

١ - أما الرياضية: فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم حياة العالم وليس بتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفيًا وإثباتًا بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها. وقد تولدت منها آفتان.

الأول: من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة، فيحسب أن جميع علومهم في الوضوح وفي وثاقة البرهان كهذا العلم، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة، فينكر بالتقليد المحض ويقول: لو كان الدين حقًا لما اختلف على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم

= أما أبو نصر الفارابي فمذهبه مذهب المدرسة الأفلاطونية الجديدة في صورتها الإسلامية وهذا المذهب كان الكندي بدأ يعبده من قبل ووصل به ابن سينا في مصنفاته إلى أكمل صورة من بعد ومن المرجح أن الفارابي قد خالف الكندي وابن سينا في بعض المسائل ويقول أصحاب دائرة المعارف الإسلامية: يجب أن نقف موقف التحفظ إن لم يكن موقف الشك عند بسط تفاصيل مذهب الفارابي فمؤلفاته لم تصل إلينا جميعها وأساوبه غامض وكثير من رسائله عبارة عن نبذ مقتضبة غاية الإقتضاب وغير مرتبة وفكرته الأساسية التي تنحو إلى التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من جهة وبين هذه الفلسفة والعقيدة الإسلامية لا تخلو من التناقض.

فاذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم ، فيستدل على أن الحق هو الجحد والانكار للدين . وكم رأيت من يضل عن الحق بهذا القدر ولا يستند له سواه او إذا قيل له : الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا في كل صناعة ، فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب ، ولا أن يكون الجاهل بالعقليات جاهلا بالنحو ، بل لكل صناعة أهل بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق ، وإن كان الحق والجهل قد يلزمهم في غيرها . فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني ، وفي الآليات تخميني ، لا يعرف ذلك إلا من جربه وخاض فيه ، فهذا إذا قرر على هذا الوجه فالذي أجد بالتقليد . لم يقع منه موقع القبول ، بل تحمله غلبة الهوى ، وشهوة البطالة ، وحب التكايس على أن يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم (١)

(١) وهذا كلام غريب أيضا من فيلسوف كثر فهمه العلي فلم يفتن بعلوم الشريعة واتجه إلى علوم الأذواق ومع ذلك يحجر على غيره أن يشبع نهمه العلي من علوم عالم الشهادة ليتجه إلى علوم الغيب ولم يدر ذلك الحجة الاسلامي أنه لم يصل إلى درجة الامامة حتى خاض هذه البحار جميعها وفي ظني أن لن يصل أحد إلى مثل ما وصل إليه الامام إلا بانضاج العقلية بالعلوم الكونية أولا ليهيته ذلك لتلقى علوم الفيض والآلهام لقد لقيت في بلادنا المصرية أكابر العارفين من أهل عصرى ولقيت منهم الامين الذين لو أنهم كانوا تمرسوا بالعلوم لكانت إمامتهم أنضج وأبلغ ورأيت منهم من أعطى الولاية الكبرى ولكن هذا العطاء الضخم لم تنفع منه =

فإنها وإن لم تتعلق بأمر الدين ، ولكن لما كانت من مبادئ علومهم ، يسرى إليه شرهم وشؤمهم ، فقل من يخوض فيه إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى .

الآفة الثانية . نشأت من صديق للاسلام جاهل ، ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم : فأنكر جميع علومهم وأدعى جهالهم فيها ، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع ، لم يشك في برهانه ، لكن اعتقد أن الاسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع فازداد للفلسفة حبا وللإسلام بغضا ، وقد عظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية . وقوله عليه السلام : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة » ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتها على وجه مخصوص أما قوله عليه السلام : « لكن الله اذا تجلى لشيء خضع له » فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلا .

= الأمة كانتفاعها لو كانت هذه الشخصيات درست شيئا من علوم الحكمة وفلسفة الأقدمين .

فهذا حكم الرياضيات وأقمتها .

٢ - وأما المنطقيات : فلا يتعلق شيء منها بالدين تقياً وإثباتاً ، بل هو النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها ، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه . وأن العلم إما تصور ، وسبيل معرفته الحد ، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر ، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة ، وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات ، وبزيادة الاستقضاء في التعريفات والتشعيبات ، ومثال كلامهم فيها قولهم إذا ثبت أن كل $a - b$ ، لزم أن بعض $b - a$ أي إذا ثبت أن كل إنسان حيوان لزم أن بعض الحيوان إنسان ، ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية . وأي تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يحدد وينكر؟ فإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار نعم . لهم نوع من الظلم في هذا العلم . وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط ، بل تساهلوا غاية التساهل ، وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراه واضحاً ، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفریات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية .

فهذه الآفة أيضا متطرفة إليه (١)

٣ - وأما علم الطبيعيات فهو بحث عن عالم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة : كالماء والهواء والتراب والنار ، ومن الأجسام المركبة : كالحیوان والنبات والمعادن ، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها . وذلك يضاهي بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسية والخادمة . وأسباب استحالة مزاجها . وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب فليس من شرطه أيضا إنكار ذلك العلم ، إلا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب «تهافت الفلاسفة» ، وما عداها ما يجب المخالفة فيها ، فعند التأمل يتبين أنها مندرجة تحتها وأصل جملتها أن تعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا فاعل لشيء منها بذاته عن ذاته .

٤ - وأما الآلهيات ففيها أكثر أغاليطهم ، فما قدرُوا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين ، على ما نقله الفارابي وابن سينا . ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلا ، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها ، وتبديعهم في سبعة عشر . وإبطال

(١) ليس في تعلم المنطق أى آفة تنطرق إلى من يدرسه وهو يدرس في الأزهر نحو عشرة قرون فلم يكفر أهله .

مذهبهم في هذه المسائل العشرين ، صنفنا كتاب « التهافت » ، أما المسائل
الثلاث ، فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم :

(١) إن الأجساد لا تحشر ، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح
المجردة ، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية (١)
ولقد صدقوا في إثبات الروحانية ، فإنها كائنة أيضا ، ولكن كذبوا
في إنكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به .

(٢) « ومن ذلك قولهم : « إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات »
وهذا أيضاً كفر صريح ، بل الحق أنه : « لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض » .

(٣) « ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من
المسلمين إلى شيء من هذه المسائل .

وأما بما وراء ذلك من نفهم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا يعلم
زائد على الذات وما يجري مجراها ، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة
ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب « فيصل
التفرقة بين الإسلام والزندقة » ما يتبين فيه فساد رأى من يتسارع إلى
التفكير في كل ما يخالف مذهبه .

هـ — وأما السياسيات فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية

(١) ليست هذه عقيدة الفلاسفة فقط بل هذه عقيدة كثير من المسيحيين .

المتعلقة بالأمور الدنيوية والإيالة السلطانية ، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء ، ومن الحكيم المأثورة عن سلف الأنبياء .

٦ - وأما الخلقية : فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها ، وكيفية معالجتها ومجاهدتها ، وإنما أخذوها من كلام الصوفية (١) وهم المتأهلون المشاركون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالإعراض عن ملاذ الدنيا . وقد انكشف لهم في مجاهدتهم من أخلاق النفس وغيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها ، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم ، توسلوا بالتجمل بها إلى ترويح باطلهم (٢) ولقد كان في عصرهم ، بل في كل عصر جماعة من المتأهلين ، لا يخلى الله سبحانه العالم عنهم ، فإنهم أوتاد الأرض ببركاتهم تنزل الرحمة إلى أهل الأرض كما ورد في الخبر حيث قال عليه السلام : بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان أصحاب الكهف ، وكانوا في سالف الأزمنة ، على مناطق به القرآن ، فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية بكتبهم آفتان - آفة في حق القابل ، وآفة في حق الراد .

- (١) ولم لا يكون التصوف والمتصوفة قد قلدوا الفلاسفة الأقدمين .
 (٢) كلام كه دعاوى لا يقوم عليهما دليل فان المذاهب والثقافات لا تزال من بدء الخليقة يأخذ بعضها من بعض فالتصوف من نوع الفلسفة والفلسفة نوع منه .

١ - أما الآفة التي هي في حق الراد فعظيمة : إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مدونا في كتبهم ، ومزوجا بباطلهم ، ينبغي أن يجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره ، إذ لم يسمعه أولا إلا منهم ، فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل ، لأنه قائله مبطل ، كالذي يسمع من النصراني قول : لا إله إلا الله عيسى رسول الله ، فينكره ويقول ، هذا كلام النصراني ، ولا يتوقف ريثما يتأمل أن النصراني كافر باعتبار هذا القول ، أو باعتبار إنكاره نبوة محمد عليه السلام ؛ فإن لم يكن كافرا إلا باعتبار إنكاره ، فلا ينبغي أن يخالف في غير ما هو به كافر بما هو حق في نفسه ، وإن كان أيضا حقا عنده . وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال ، لا الرجال بالحق . والعاقل يقتدى بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال ، لا تعرف الحق بالرجال بل أعرف الحق تعرف أهله ، والعارف العاقل يعرف الحق ، ثم ينظر في نفس القول ، فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب الرغام . ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب ، وانتزع الأبريز الخالص من الزيف والبهرج ، مهما كان واثقا بصيرته ، وإنما يزرع عن معاملة القلاب القروي ، دون الصيرفي البصير ، ويمنع من ساحل البحر الأخرق ، دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحبة الصبي دون المعزم البارع .

ولعمري : لما غلب على أكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة

وكان العقل وتمام الآلة في تمييز الحق عن الباطل ، والهدى عن الضلالة ،
 وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلالة
 ما أمكن ، إذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي سنذكرها أصلاً ، وإن سلموا
 عن هذه الآفة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبتوتة في
 تصانيفنا في أسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرأثرهم
 ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم ، وزعمت أن تلك الكلمات
 من كلام الأوائل ، مع أن بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد أن يقع
 الحافر على الحافر ، وبعضها يوجد في الكتب الشرعية ، وأكثرها موجود
 معناه في كتب الصوفية . وهب أنها لم توجد إلا في كتبهم فإذا كان ذلك
 الكلام معقولا في نفسه ، مؤيداً بالبرهان ، ولم يكن على مخالفة الكتاب
 والسنة ، فلم ينبغى أن يهجر ويترك ؟ فلو فتحنا هذا الباب ، وتطرقنا
 إلى أن نهجر كل حق سبق إليه خاطر لزمنا أن نهجر كثيراً من الحق ،
 ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن ، وأخبار الرسول وحكايات
 السلف ، وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب كتاب ، إخوان الصفا ،
 أوردها في كتابه مستشهداً بها ، ومستدرجاً قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله
 ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحق من أيدينا بإيداعهم إياه
 في كتبهم ، وأقل درجات العالم . أن يتميز عن العاصي الغمر ، فلا يعاف
 العسل ، وإن وجدته في محجمة الحجام .

ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل ، فإن نفرة الطبع منه مبنية
 على جهل عامي منشؤه أن المحجمة ، إنما صنعت للدم المستقدر ، فيظن أن

الدم مستقدر لكونه في المحجمة ، ولا يدري أنه مستقدر لصفة في ذاته ،
 فإذا عدت هذه الصفة في العسل فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصفة ،
 فلا ينبغي أن يوجب له الاستقدار . وهذا وهم باطل ، وهو غالب على
 أكثر الخلق ، فهما نسبت الكلام وأسندته إلى قاتل حسن فيه اعتقادهم ،
 قبلوه وإن كان باطلا ، وإن أسندته إلى من ساء فيه اعتقادهم ردوه وإن
 كان حقا ، فابدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق ،
 وهو غاية الضلال هذه آفة الراد .

٢ - آفة القبول : فإن من نظر في كتبهم « كإخوان الصفاء وغيره ،
 فرأى ، ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية ، والكلمات الصوفية ، ربما
 استحسناها وقبلها ، وحسن اعتقاده فيها ، فيسارع إلى قبولها باطلهم الممزوج
 به لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج إلى الباطل .
 ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم (١) لما فيها من

(١) مقتضى هذا أن تأمر وزارة المعارف المصرية وإدارة البحوث في
 الأزهر أن لا ترسل أبناءها لتعميم الدراسات في جامعات الغرب حتى
 لا يطالع المبعوثون علوم الفرنجة وقلبيهااتهم فيضلوا السبيل قل لي بربك ما هو
 هذا الإيمان الذي يضيع من مطالعة علم أو نقل ثقافة من ميدان إلى ميدان
 في غالب ظني أن هذا انكماش على لو سارت عليه أمة لفقدت وجودها
 كأمة متحضرة والبعد عن بحث نتاج مثل هذه العقول الجبارة إنكار لمفاخر
 الشرق فلم تنجب التربة الشرقية فلا كأي بكر الرازي أو القارابي وابن
 سينا أو البيروني أو أبي حيان وابن الهيثم وابن رشد والالوف المؤلف =

الغدر والخطر ، وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزلق الشطوط
يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب ، وكما يجب صون الضبيان
عن مس الحيات يجب صون الأسماع عن مختلط تلك الكلمات ، وكما يجب
على المعزم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل ، إذا علم أنه سيقترى به
ويظن أنه مثله ، بل يجب عليه أن يحذره منه ، بأن يحذر هو في نفسه
ولا يمسها بين يديه ، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله ، وكما أن المعزم
الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم ، فاستخرج منه الترياق
وأبطل السم ، فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج إليه . وكذلك
الصراف الناقد البصير ، إذا أدخل يده في كيس القلاب ، وأخرج منه
الإبريز الخالص ، وأطرح الزيف والبهرج فليس له أن يشح بالجيد المرضى
على من يحتاج إليه ، كذلك العالم ، وكما أن المحتاج إلى الترياق ، إذا اشمازت
نفسه منه ، حيث علم أنه مستخرج من الحية التي هي مركز السم . وجب
تعريفه . والفقير المضطر إلى المال ، إذا نفر عن قبول الذهب المستخرج
من كيس القلاب ، وجب تنبيهه على أن نفرته جهل محض ، هو سبب
حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه . وتحتم تعريفه أن قرب الجوار بين
الزيف والجيد لا يجعل الجيد زيفا ، كما لا يجعل الزيف جيدا . فكذلك

= من أمثالهم وأقرانهم ممن ورثوا الأقدمين وصاروا حلقة وصل
للتأخرين لصنعت المعارف الانسانية في الشرق . ولما أينعت ثمارها بعد ذلك
في الغرب .

قرب الجوار بين الحق والباطل لا يجعل الحق باطلا ، كما لا يجعل الباطل حقا
فهذا مقدار ما أردنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها .

٣ - مذهب التعليم وغائلته

ثم إنى لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمة وتزييف ما يزيغ
منه ، علمت أن ذلك أيضا غير واف بكال الغوض ، وأن العقل ليس
مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات
وكان قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحديدهم بمعرفة معنى الأمور
من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق ، - عن علي أن أبحث عن مقالاتهم
لأطلع على ما في كتبهم ثم اتفق أن ورد على أمر جازم من حضرة
الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعى مدافعه
وصار ذلك مستحشا من خارج ، ضميمة للباعث الاصلى من الباطن ،
فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم . وكان قد بلغنى بعض كتاباتهم
المستحدثة التى ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهاج المعهود من سلفهم
فجمعت تلك الكلمات ، ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا التحقيق ، واستوفيت
الجواب عنها ، حتى أنكر على بعض أهل الحق منى مبالغى فى تقرير حججهم
وقال : « هذا سعى لهم فإنهم كانوا يعجزون عن نصره مذهبهم بمثل هذه
الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إياها » .

وهذا الإنكار من وجه حق ، فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث

المجاسي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحارث ، الرد على البدعة فرض ، فقال أحمد ، نعم ، ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها . فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب ، أو ينظر إلى الجواب ، ولا يفهم كنهه ، ؟

وما ذكره أحمد حق ، ولكن في شبهة لم تنشر ولم تشتهر فأما إذا انتشرت ، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية (١) نعم ينبغي أن لا يتكلف إيرادها ، ولم أتكلف أنا ذلك ، بل كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من أصحابي المختلفين إلى بعد أن كان قد التحق بهم وانتحل مذهبهم . وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم . فإنهم لم يفهموا بعد حججهم . وذكر تلك الحجة وحكاها عنهم ، فلم أرض لنفسي أن يظن في الغفلة عن أصل حججهم ، فلذلك أوردتها ، ولا أن يظن بي أني وإن سمعتها لم أفهمها ، فلذلك قررتها . والمقصود أني قررت شبهتهم إلى أقصى الإمكان ، ثم أظهرت فسادها بغاية البرهان .

(١) الواقع أن نظر الامام أحمد أبعد من نظر الغزالي فاشتغال علماء الأمة بتدوين كتب في الرد على المخالفين عمل سلبى ضائع ولو وجه العلماء مجهودهم لتدعيم العقائد بنشر العلم النافع وتقويم الأمة على طريقة السلف بإحياء السنة لكان أجدى على الأمة من عدة مجلدات تكتب في الرد على ملحد أو زائغ أن أكبر وقاية للعقائد الإسلامية بعث علومها وثقافتها بدراسة الكتاب والسنة على طريقة السلف من غير تعمق في العقائد .

والحاصل : أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم ، ولولا
 نصره الصديق الجاهل ، لما انتهت تلك البدعة — مع ضعفها — إلى هذه
 الدرجة ، ولكن شدة التعصب ، دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع
 معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجادلتهم في كل ما نطقوا به فجادلوهم في
 دعواهم ، الحاجة إلى التعليم والمعلم ، ودعواهم ، لا يصلح كل معلم ، بل لا بد
 من معلم معصوم (١) ، وظهرت حججهم في إظهار الحاجة إلى التعليم وإلى
 المعلم ، وضعف قول المنكرين في مقابلتهم فاغتر بذلك جماعة وظنوا أن ذلك
 من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ولم يفهموا أن ذلك لضعف
 ناصر الحق وجهله بطريقة ، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى معلم ،
 وأنه لا بد وأن يكون المعلم معصوما ، ولكن معلنا المعصوم هو محمد عليه
 السلام . فإذا قالوا : « هو ميت » فنقول ، ومعلينكم غائب ، فإذا قالوا :
 « معلنا قد علم الدعوة وبثهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا
 أو أشكل عليهم مشكل » فنقول : « ومعلنا قد علم الدعوة وبثهم في البلاد
 وأكمل التعليم إذ قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتي ، وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته .
 فبقي قولهم : « كيف تحكمون في ما لم تسمعوه ؟ أبالنص ولم تسمعوه ،
 أم بالاجتهاد والرأى وهو مظنة الخلاف ؟ » فنقول : « تفعل ما فعله معاذ

(١) القول بالامام المعصوم كقول متأخرى الصوفية بلزوم الشيخ
 للبريد وقد ردها الغزالي وأثبت أنه لا حاجة لنا إلى أحد بعد النبي المعصوم
 وهو موجود فينا معنى .

إذ بعثه رسول الله عليه السلام إلى اليمن . إذ كان يحكم بالنص عند وجود النص وبالاجتهاد عند عدمه ، بل كما يفعله دعواتهم إذا بعدوا عن الإمام إلى أقاصى البلاد . إذ لا يمكنهم أن يحكموا بالنص ، فان النصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع الغير متناهية ، ولا يمكنهم الرجوع في كل واقعة إلى بلدة الإمام ، وإلى أن يقطع المسافة ويرجع فيكون المستفتى قد مات ، وفات الانتفاع بالرجوع . فمن أشكلت عليه القبلة ليس له طريق إلا أن يصلى بالاجتهاد ، إذ لو سافر إلى بلدة الإمام لمعرفة القبلة ، لفات وقت الصلاة ، فإذا تجازت الصلاة إلى غير القبلة بناء على الظن ، ويقال . إن المخطئ في الاجتهاد له أجر واحد وللصيب أجران ، فكذلك في جميع المجتهدين ، وكذلك أمر صرف الزكاة إلى الفقير ، وربما يظنه فقيراً باجتهاده وهو غنى باطنا بإخفائه ماله ، ولا يكون هو مؤاخذاً به وإن أخطأ ، لأنه لم يؤخذ إلا بموجب ظنه . فان قال ، ظن مخالفة كظنه ، فنقول ، هو مأمور باتباع ظن نفسه كالمجتهد في القبلة يتبع ظن نفسه وإن خالفه غيره ، فان قال ، فالمقلد يتبع أبا حنيفة أو الشافعي رحمهما الله ، أم غيرهما فأقول ، فالمقلد في القبلة عند الاشتباه ، إذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع ؟ ، فسيقول ، له مع نفسه اجتهاد في معرفته الأفضل الأعم بدلائل القبلة ، فيتبع ذلك الاجتهاد ، فكذلك في المذاهب (١) .

فرد الخلق إلى الاجتهاد — ضرورة — الأنبياء والأئمة مع العلم بأنهم

(١) التحقيق أنه لا يتحتم على المقلد التزام مذهب إمام معين لا يخرج عنه

قد يخطئون ، بل قال رسول الله عليه السلام : « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر أى : أنا أحكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود وربما أخطىء فيه . ولا سبيل إلى الأمن من الخطأ للأنبياء فى مثل هذه المجتهدات فكيف نطمع فى ذلك (١) »

ولهم ههنا سؤالان : أحدهما قولهم هذا ، وإن صح فى المجتهدات فلا يصح فى قواعد العقائد . إذا المخطىء فيها غير معذور . فكيف السبيل إليه ؟ فأقول : « قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنة وما وراء ذلك من التفصيل ، والمتنازع فيه ، يعرف الحق فيه بالوزن بالقسطان المستقيم (٢) »

(١) تسمية المجتهد فيه من النبي المعصوم خطأ غير مسلم ومسألة الحكم بالظاهر ليست محل شاهد .

(٢) ولم لا يكون مرد المتنازع فيه كله إلى الكتاب والسنة مباشرة بدون حاجة إلى ميزان الغزالي وقد قال الله سبحانه وتعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » إن الدين قد جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفرغ منه ولم يبق بعد تصديقه به بدلالة المعجزات الباهرات إلا اتباعه على هذا درج السلف ولذلك قال مالك لمن جادله : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا لجذله ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وروى مالك فى الموطأ عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « أيها الناس قد سننت لكم السنن وقرضت لكم الفرائض وترضكنم على السنة الواضحة ليلها كنهانها وروى ابن ماجه نحو هذه مرفوعاً من حديث أبي الترداء . »

وهي الموازين التي ذكرها الله تعالى في كتابه : وهي خمسة ذكرتها في كتاب القسطاط المستقيم فان قال ، خصومك يخالفونك في ذلك الميزان ، فأقول ، لا يتصور أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه ، ان لا يخالف فيه أهل التعليم ، لأنني استخرجته من القرآن وتعليته منه ، ولا يخالف فيه أهل المنطق ، لأنه موافق لما شرطوه في المنطق ، غير مخالف له ، ولا يخالف فيه المتكلم لأنه موافق لما يذكره في أدلة النظريات ، وبه يعرف الحق في الكلاميات ، فان قال : ، فان كان في يدك مثل هذا الميزان ، فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق ؟ ، فأقول ، لو أصغوا إلى لرفعت الخلاف بينهم . وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب ، القسطاس المستقيم ، فتأمله لتعلم أنه حق وأنه يرفع الخلاف قطعاً لو أصغوا ولا يصغون اليه بأجمعهم بل قد أصغى إلى طائفة ، فرفعت الخلاف بينهم وامامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم اصغائهم فلم يرفع إلى الآن ؟ ولم لم يرفع على رضى الله عنه وهو رأس الأئمة ؟ أو يدع أنه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء قهراً ، فلم لم يحملهم إلى الآن ؟ ولأى يوم أجله ؟ وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته إلا زيادة خلاف وزيادة مخالفة ؟ نعم اكان يخشى من الخلاف نوع من الضرر لا ينتهي إلى سفك الدماء ، وتخریب البلاد وإيتام الأولاد وقطع الطرق ، والاغارة على الأموال . وقد حدث في العالم من بركات رفعكم الخلاف من الخلاف ما لم يكن بمثله عهد (١) فان قال (ادعيت أنك

(١) الواقع أن البحث عن الحق مع مثل هذه الفرق عيب لا طائل تحته فهذه المذاهب دخلت إلى الاسلام عند كثرة الفتوح من بعض فرق =

ترفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين أهل المذاهب المتعارضة
والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء اليك دون خصمك وأكثر
الخصوم يخالفونك ولا فرق بينك وبينهم) .

وهذا هو سؤالهم الثاني فأقول : هذا أولا ينقلب عليك اذا دعوت
هذا المتحير إلى نفسك فيقول المتحير بم صرت أولى من مخالفيك وأكثر
أهل العلم يخالفونك فليت شعري ؟ أنجيب بأن تقول إمامي منصوص
عليه فمن يصدقك في دعوى النص وهو لم يسمع النص من الرسول وإنما
يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك ثم هب أنه
يسلم لك النص فان كان متحيرا في أصل النبوة : فقال هب ان أمامك يدلي
بمعجزة عيسى فيقول الدليل على صدقي أني أحيى أباك فأجابه فناطقني بأنه
محق فيماذا أعلم صدقه ولم يعرف كاقة الخلق صدق عيسى بهذه المعجزة .
بل عليه من الأسئلة المشككة مالا يدفع الا بدقيق النظر العقلي والنظر العقلي
لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة المعجزة على الصدق مالم يعرف السحر
والتمييز بينه وبين المعجزة ومالم يعرف أن الله لا يضل عباده وسؤال
الإضلال وعسر تحرير الجواب عنه مشهور فيماذا تدفع جميع ذلك ؟
ولم يكن أمامك أولى بالمتابعة من مخالفيه فيرجع الى الأدلة النظرية التي

== النصرانية التي تدعى أن روح الاله تحل في زعمائهم وارتجاع العالم إلى
صحراء هذه المذاهب المهلكة صرف المسلمين عما خلقوا له من الخلافة
الأرضية وعمارة السكون .

تنكرها وخصمه يدلى بمثل تلك الأدلة وأوضح منها وهذا السؤال قد انقلب عليه انقلاباً عظيماً لو اجتمع أولهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جواباً لم يقدرُوا عليه . وإنما نشأ الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب بل بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعاً إلى الأفهام فلا يصلح للاقوام فان قال قائل فهذا هو القلب فهل عنه جواب .

فأقول نعم جوابه أن المتحير لو قال أنا متحير ولم يعين المسألة التي هو متحير فيها يقال له أنت كمر يض يقول أنا مريض ولا يذكر عين مرضه ويطلب علاجه فيقال له ليس في الوجود علاج للمرض المطلق بل لمرض معين من صداع أو إسهال أو غيرهما ، فكذلك المتحير ينبغي أن يعين ما هو متحير فيه فإن عين المسألة عرفته الحق فيها بالوزن بالموازين الخمسة التي لا يفهمها أحد إلا ويعترف بأنه الميزان الحق الذي يوثق بكل ما يوزن به فيفهم الميزان ويفهم أيضاً من صحة الوزن كما يفهم متعلم الحساب نفس الحساب وكون المحاسب المعلم عالماً بالحساب وصادقاً فيه وقد أوضحت ذلك في كتاب القسطاس المستقيم في مقدار عشرين ورقة فليتأمل وليس المقصود الآن بيان فساد مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهرى أولاً وفي كتاب حجة الحق ثانياً وهو جواب كلام لهم عرض على بغداد وفي كتاب مفصل الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلاً ثالثاً وهو جواب كلام عرض على بهمدان وفي كتاب الدرج المرقوم بالجداول رابعاً وهو من ركيك كلامهم الذي عرض على بطوس وفي

كتاب القسطاس المستقيم خامساً وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم (١) لمن أحاط به ، بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم شيء من الشفاء المنجى من ظلمات الآراء بل هم من عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام طال ما جاريناهم فصدقناهم في الحاجة إلى التعليم وإلى المعلم المعصوم وأنه الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم إشكالات فلم يفهموها فضلاً عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا على الإمام الغائب وقالوا أنه لا بد من السفر إليه والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم وفي التبجح بالظفر به ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً كالتضخخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء حتى إذا وجده لم يستعمله وبقى متضمخاً بالخبائث ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم فكان حاصل ما ذكره شيئاً من ركيك فلسفة فيثاغورس (٢) وهو رجل من قدماء الأوائل ومذهبه أرك مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه إرسطاطاليس بل اشترك كلامهم واسترذله وهو المحكى في كتاب إخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلاسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغيث ويظن بأنه ظفر بأقصى مقاصد العلوم فهؤلاء أيضاً

(١) الإمام المعصوم فكرة نصرانية دخلت الإسلام مع من أسلم من النصارى وهي كفكرة لزوم الشيخ للريد عند صوفية القرون الأخيرة .
(٢) أن هذه الفلسفات الركيكة في نظر الغزالي كانت عادة الفلاسفة الحديثة التي أنارت الطريق المعرفة أمام الإنسان .

جر بناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام
 وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ومجادلتهم في إنكارهم الحاجة إلى
 التعليم بكلام قوئى مفهم حتى إذا ساعدتهم على الحاجة إلى المعلم مساعد
 وقال هات عليه وأفدنا من تعليمه وقف وقال الآن إذا سلمت له هذا
 فاطلبه فإنما عرض هذا القدر فقط إذ علم أنه لو زاد على ذلك لا فتضح
 ولعجز عن حل أدنى الإشكالات . بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه
 فهذه حقيقة حالهم فأخبرهم تقلبهم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضاً .

٤ - طرق الصوفية

ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتى على طريق الصوفية
 وعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل عملهم قطع عقبات
 النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى
 تخلية القلب عن غير الله تعالى وتخليته بذكر الله . وكان العلم أيسر على من
 العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبى
 طالب المكي رحمه الله وكتب الحارس المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن
 الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى قدس الله أرواحهم وغير ذلك من
 كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن
 يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع فظهر لى أن أخص خواصهم ما لا يمكن
 الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق (١) والحال وتبدل الصفات وكم من الفرق

(١) هذا الفصل من كتاب المنقذ هو أجل فصل فى الكتاب به =

بين أن يعلم حد الصحة وحد الشيع وأسابهما وشروطهما وبين أن يكون

= أبان حجة الاسلام حقيقة التصوف الذي انتهى به رضى الله عنه إلى أعلى درجة في هذا المضمار والغريب أن كثيراً من عوام الأمة يقرأ هذا الفصل ويجهد في محاكاة الغزالي في الخلوة والتشف والزهد ليصل إلى ما وصل إليه أو إلى شيء منه ولكن التاريخ لم يحدثنا بغزالي آخر والواقع أن لكل مرید كما يقولون تصوف فالتصوف في الاسلام كان أ طوارا .

التصوف العيسوى . التصوف الفكرى . التصوف التقليدى . التصوف المحمدى . أما التصوف العيسوى فهو تصوف الرياضات والتقليل من الأكل تدريجاً حتى يصل الأمر إلى الفطر على تمر في اليوم والليلة أو الفطر كل أربعين يوماً على تمر كما وصل إليه سهل بن عبد الله وقد وصل هذا التصوف بالغزالي الذروة . أما التصوف الفكرى فيبتدىء من عصر الشاذلى الذى كان أمام التصوف القلبي بالذكر والاستغراق فيه مع عدم حرمان النفس من حلالها ونبغ في هذا الشأن أئمة كبار . وبعد ذلك ابتداء التصوف التقليدى وهو محاكاة إحدى الطريقتين الأوليين لكن من غير قدرة على استفراغ الجهد فى أحدهما . أما التصوف المحمدى فهو أسلم مناهج التصوف ولا يصلح لهذا العصر سواء بعد أن كثر الادعاء والمتمشيخون الذين لم يظهر لمناهجهم إن كان لهم مناهج أثر فى الأمة وخلاصة هذا تجديد التوبة والاتجاه بالكلية إلى السنة وتعشق صاحبها والتخلق بالاخلاق النبوية واستقضائها من كتب الشمائل والتعبد بالاذكار النبوية وملاحظة النبي صلى الله عليه وسلم فى جميع الأحوال ومشاهدة ذاته بالقلب فى جميع الأذكار وينبئ هذا التصوف الأخير على ركن واحد هو أن لا يشغل =

صحيحاً وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكرانا لا يعرف حد السكر وعليه وهو سكران وما معه من عليه شيء والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسمع والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارسها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين محرر بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاني عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى وأن

== المرید قلبه بالشیوخ فانهم أكبر عائق عن السير في هذا النوع من التصوف وأعظم حجاب في التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة أدركت ذلك وجدان صحيح وتلقيته في عالم المثال من أكبر روح مريبه بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق
ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منعس في العلائق وقد أحدثت بي من
الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فإذا أنا فيها مقبل
على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في
التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعها ومحركها طلب الجاه
وانتشار الصيت فتيقنت أني على شفا جرف هار وأنى قد أشفيت على
النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على
مقام الاختيار أصم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك
الأحوال يوماً وأحن العزم يوماً وأقدم فيه رجلاً وأؤخر عنه أخرى
لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة إلا ويحمل عليها جند الهوى حملة
فتفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام ومنادى
الإيمان ينادى الرحيل الرحيل ! فلم يبق من العمر إلا قليل وبين يديك
السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخيل فإن لم تستعد
الآن للآخرة فمتى تستعد؟ وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع (١)
فعند ذلك تنبعث الداعية وينجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود
الشیطان ويقول هذه حال عارضة إياك أن تطاوعها فإنها سريعة الزوال
فإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن

(١) قطع الغزالي لعلائق الدنيا لم يكن فيه مختاراً ولذا قال من الحماقة أن
ترك ما أنت فيه من وظائف طلباً للتصوف فقد قال ابن عطاء الله إرادتك
التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية .

التكدير والتغيب والأمين المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما التفتت إليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار (١) إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطيبيا لقلوب المختلفين إلى فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة حتى أورثت هذه العقلة في لساني حزنا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب فكان لا ينساع لي ثريد ولا تنهضم لي لقمة وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم

(١) ومن هذا يقين أن الامام حجة الاسلام الغزالي كان مصطفى مجتبي اختارته العناية الالهية وأهلته لأداء رسالة روحية عظيمة بلغ صداها المشرق والمغرب فتصوف الغزالي في الأحياء نهل منه كل من صح عزمه على سلوك طريق القوم نعم أن هذه الطريقة التي سلكها الغزالي والمنهج الذي أبانه في هذا الفصل كان أمراً خاصاً أن وصل به إلى مقصوده فلن يكون ذلك قاعدة مطردة لكل من أراد سلوك هذه الطريق ولذا فإن آمن طريق يسلكه مريدها أراد الغزالي أن يسلم نفسه للحضرة المحمدية أولاً وهنا إذا صدقت النية ستلاحق على المرید الإشارة ببعض الأذكار التي تناسب روح السالك ومقامه وهذا لا ينافي أن يختل المرید ببعض أذكار الكتاب والسنة كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، وقد لازم الغزالي الذكر باسمه تعالى ، الله ، حتى فتح عليه فيه .

من العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل
إليه بالعلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم ثم لما أحسست بعجزى
وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة
له فأجاني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الإعراض عن
الجاه والمال والأولاد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في نفسي سفر الشام حذرا أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على
عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على
عزم ألا أعاودها أبدا واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة إذ لم يكن فيهم
من يجوز أن يكون الإعراض عما كنت فيه سببا دينياً إذ ظنوا أن ذلك
هو المنصب الأعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من
جهة الولاية وأما من قرب من الولاية وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي
والانكباب على وإعراض عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر
سماوي وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة العلم فقارقت (١)
بغداد وقرقت ما كان معي من المال ولم أدخر إلا قدر الكفاف
وقوت الأطفال ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفاً على
المسلمين فلم أر في العالم مالا يأخذه العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام

(١) وكان هذا لا مفر منه لمن في مثل همة هذا الامام الفرد طالب منه
باطناً الانقطاع إلى الله فصدع قال ابن عطاء الله إرادتك الأسباب مع إقامة
الله لك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية .

وأقمت به قريبا من سنتين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة
والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر
الله تعالى كما كنت حصلت من علم الصوفية وكنت اعتكف مدة في مسجد
دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ثم رحلت
منها إلى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأغلق بابها على نفسي ثم
تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة
وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات
الله عليه فسرت إلى الحجاز ثم جذبتني الهمم ودعوات الأبطال إلى الوطن
فعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه فأثرت العزلة به أيضا
حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر، وكانت حوادث الزمان
ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة
الخلوة وكان لا يصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة لكنني مع ذلك
لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها قدمت على ذلك
مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره اينتفع به أني علمت يقينا
أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير
وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء
وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئا
من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فان
جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة

وإس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة فإذا
يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهي أول شروطها - تطهير القلب
بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم من
الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله . وآخرها الفناء بالكلية في الله
وهذا آخرها بالإضافة إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب
من أوائلها وهي على التحقيق أول الطريقة .

وما قبل ذلك كالدليل للسالك إليه ومن أول الطريقة تبدأ المشاهدات
والمكاشفات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء
ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة
الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر
أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى
الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد
وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ وقد بينا وجه الخطأ في كتاب المقصد
الأسنى بل الذى لا بسنة تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول :
وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر .

وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة
إلا الاسم ، وكرامات الأولياء على التحقيق هي بدايات الأنبياء وكان ذلك
أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل إلى جبل حراء حين
كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب « إن محمداً عشق ربه » وهذا

حالة يتحققها بالذوق من سلك سبيلها فمن لم يرزق الذوق فیتیقنها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال یقینا ومن جالسهم استفاد منهم هذا الإیمان فهم القوم لا یشتی جلسهم ومن لم یرزق صحبتهم فلیعلم إمكان ذلك یقینا بشواهد البرهان علی ما ذکرناه فی کتاب (عجائب القلب) من كتب إحياء علوم الدين والتحقیق بالبرهان علم وملازمة تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إیمان فهذه ثلاث درجات « فیرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ووراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لأصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام یستمعون ویسخررون ویقولون العجب إنهم کیف یهدون وفیهم قال الله تعالى « ومنهم من یستمع الیک حتی إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا؟ » . « أولئك الذين طبع الله علی قلوبهم وأتبعوا أهواءهم » فأصمهم وأعمى أبصارهم ، ومما بان لی بالضرورة من ممارسة طریقتهم حقيقة النبوة وخاصیتها ولا بد من التنبیه علی أصلها لشدة مسیس الحاجة إليها .

حقیقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها (١)

إعلم أن جوهر الإنسان فی أصل الفطرة خلق خالیا ساذجا لا خبر

(١) وهنا یشیر الامام حجة الاسلام إلى النبوة واضطرار كافة الخلق إليها وهذه الإشارة هی ما صرحت لك به بما اضطرني الحق إلى سلوكه بعد ما طلبت الأمر عند الشیوخ فلم أجد عندهم مطلوبی نعم لرجال الطرق

معه عن عوالم الله تعالى، والعوالم كثيرة لا يحصيا إلا الله تعالى كما قال
 (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وإنما خبره عن العوالم بواسطة الإدراك
 وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من
 الموجودات ونعني بالعوالم أجناس الموجودات فأول ما يخلق في الإنسان
 حاسة اللمس فيدرك بها أجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة
 والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن الألوان
 والأصوات قطعاً بل هي كالمعدومة في حق اللمس - ثم تخلق له حاسة
 البصر فيدرك بها الألوان والأشكال وهو أوسع عوالم المحسوسات ثم
 ينفخ فيه السمع فيسمع الأصوات والنبغات ثم يخلق له الذوق كذلك
 إلى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين

= الصادقين رسالتهم في المحافظة على عقائد المسلمين في بعض بلاد الاسلام
 فلولاً الطريقة التيجانية في شمال أفريقية لمزق الاستعمار الفرنسي عقائد
 المسلمين في هذه البلاد وهكذا الادريسية في طرابلس والحنفية في السودان
 ولذا فإن المحافظة من الحكومات الاسلامية على هذه الطرق محافظة على عقائد
 العوام من سموم الاستعمار والتبشير المسيحي ولكن الأمر الذي يشير اليه
 الغزالي هو أن الاتصال بالله لا يكون إلا من طريق النبي صلى الله عليه
 وسلم وإنما يتيسر هذا للخواص والعلماء الذين يستطيعون دراسة السنة والتخلق
 بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وملاحظته في الأذكار واستحضار صورته
 الشريفة في جميع الأحوال والاقتناس من روحه والنهل من مدده الأصنى
 وسره الأسنى أما العوام فليس لهم إلا صحبة العارفين ليخلقهم بالأوصاف
 الحمديّة .

وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحس ثم يترقى إلى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأموراً لا توجد في الأطوار التي قبله، ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأموراً آخر العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما أن الميز لو عرضت عليه مدركات العقل لأبأها واستبعدتها فكذلك بعض العقلاء أي مدركات النبوة واستبعدتها وذلك عين الجهل إذ لا مستند له إلا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فيظن أنه غير موجود في نفسه والأكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال وحكى له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقربها وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه وقيل له : (إن من الناس من ينسقط مغشياً عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب) لأنكره وأقام البرهان على استحالة وقال القوى الحساسة أسباب الإدراك فمن لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها ، فبأن لا يدرك مع ركوذها أولى وأحق وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة فكما أن العقل طور من أطوار الأدمى يحصل فيه عين يبصر بها أنواعاً من المعقولات والحواس معزولة عنها فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها

الغيب وأمور لا يدركها العقل والشك في النبوة إما أن يقع في أماكنها أو في وجودها ووقوعها أو في حصولها لشخص معين ودليل إمكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلمي الطب والنجوم فإن من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك إلا بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل إليها بالتجربة فمن الأحكام النجومية ما لا يقع إلا في كل ألف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الأدوية فتبين بهذا البرهان أن في الامكان وجود طريق لإدراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لا أن النبوة عبارة عنها فقط بل إدراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل إحدى خواص النبوة ولها خواص كثيرة سواها وما ذكرناه قطرة من بحرها وإنما ذكرناها لأن معك أنموذجاً منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم وهي معجزات الأنبياء ولا سبيل إليها للعقل ببطانة العقل أصلاً، وأما ما عدا هذا من خواص النبوة إنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف لأن هذا إنما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم (١) ولولاه لما صدقت به فإن كان للنبي خاصة ليس لك منها

(١) وهذه إشارة أخرى في أن الاتصال الروحي بالنبي صلى الله عليه وسلم هو مبدأ فتوحات التصوف وأنه يكون أولاً عن طريق النوم والروى فيه وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: «أنها جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة»، واعلم يا أخي أن روح النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إليك من أي روح أخرى وأن الاستمداد من حضرة =

أنموذج فلا تفهمها أصلاً فكيف تصدق بها وإنما التصديق بعد الفهم وذلك الأنموذج يحصل في أوائل طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس إليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للإيمان بأصل النبوة . فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله ، إما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامح فإنك إذا عرفت الطب والفقاه يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيهاً وكون جالينوس طبيباً معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن (١) والأخبار

= لا يتطلب إلا التوبة الصادقة والمراقبة المستمرة والاشتغال بسنته والتعبد بتلاوة القرآن وإذكار السنة أن سلوك طريق الصوفية على يد النبي صلى الله عليه وسلم أسهل بكثير من طريق الشيوخ وآمن عاقبة على أن الساوك على أيدي الشيوخ محدود الأبعاد والمسافات فان الشيخ إذا رأى أن المرید يكاد يتخطأه في السير وكثيراً ما يحصل هذا تضطرب العلائق بينهما وهنا يقف المرید في وسط الطريق أما السير على يد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه غير محدود بل هو ساحة الاطلاق .

(١) وهذا تصريح من هذا الامام الكبير في التصوف بما للقرآن والسنة من شأن في الوصول إلى الله ولقد كتب سيدي محي الدين =

يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة وعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في قوله « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، وكيف صدق في قوله « من أعان ظلما سلطه الله عليه ، وكيف صدق في قوله « من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة ، فإذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضروري لا تتأثر فيه . فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصاة ثعبانا وشق القمر فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة

== ابن العربي حضرة المهيمن من الفتوحات المكية عن القرآن وكيف أنه السبيل الوحيد إلى الاتصال بالحق سبحانه وتعالى ، قال رضي الله عنه ما خلاصته ومعناه أن الاتصال بالحق سبحانه وتعالى إنما يكون عن قرب الانسان من المثل العليا التي خصها الله بالاصطفاء وجعلها محل رسالته ومكالمته ومظهر حضرة وخلافته ولا ريب أن المثل الأعلى الذي يحتذى ويتأهل الانسان بمحاكاته محل القرب هو النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الصورة الكاملة من القرآن فانه لما تخلق بأخلاق القرآن فقد تخلق بأخلاق الله وأصبح محل التجليات القرآنية فان أردت الاتصال بالله فتخلق بأخلاق القرآن تكن صورة محمدية وعلى قدر عنايتك بالقرآن حفظا بجميع رواياته ودراسة لمعانيه ومعرفة لأحكامه حلاله وحرامه تنطبع فيك الصورة المحمدية وعلى قدر مظهرك من هذه الصورة يكون قربك من الله ولقد كان اطلاعي على هذا الفصل من الفتوحات سببا في تعلبي علوم القراءات والعناية بها .

الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وتخيل ، وأنه من الله إضلال ، فإنه « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » . وترد عليك أسئلة المعجزات فإن كان مستنداً إيمانك إلى كلام منظوم في وجه دلالة المعجزة فينجزم إيمانك بكلام مرتب في وجه الإشكال والشبهة عليها فليكن مثل هذه الحوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الأحاد فهذا هو الإيمان القوى العلي ، وأما الذوق فهو كالمشاهدة والأخذ باليد ولا يوجد إلا في طريق الصوفية فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي أقصده الآن وسأذكر وجه الحاجة إليه .

سبب نشر العلم بعد الأعراض عنه

ثم إنى لما واضبت على العزلة والخلوة قريباً من عشر سنين (١) وبأن

(١) قد تقول من يستطيع أن يختل عشر سنين منقطعاً عن العالم فأقول لك أن الخلوة القلبية عن العالم ممكنة بفكرك والمداومة على الذكر في السر والجهر في القيام والقعود في طريقك في أثناء عمك ميسرة أن العالم يستطيع أن يكون صوفياً والسياسي كذلك والصانع والتاجر أن التصوف على الحقيقة هو استغراق القلب في المحبوب وما خلوة الغزالي =

لى فى أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيا مرة بالذوق، ومرة
 بالعلم البرهانى، ومرة بالقبول الإيمانى : أن الإنسان خلق من بدن
 وقلب، وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله، دون اللحم
 والدم الذى يشارك فيه الميت والبهيمة، وأن البدن له صحة بها سعادته
 ومرض فيه هلاكه، وأن القلب كذلك له صحة وسلامة، ولا ينجو إلا
 من أتى الله بقلب سليم، وله مرض فيه هلاكه الأبدى الآخرى، كما
 قال تعالى « فى قلوبهم مرض » وأن الجهل بالله سم مهلك، وأن معصية
 الله بمتابعة الهوى، دأؤه الممرض، وأن معرفة الله تعالى تزيقه المحي،
 وطاعته بمخالفة الهوى دوائه الشافى، وأنه لا سبيل إلى معالجته بإزالة
 مرضه وكسب صحته إلا بأدوية، كما لا سبيل إلى معالجة البدن إلا بذلك.
 وكما أن أدوية البدن تؤثر فى كسب الصحة بخاصية فيها، لا يدركها العقلاء
 ببضاعة العقل، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها من الأنبياء،
 الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء، فكذلك بأن لى، على
 الضرورة. أن أدوية العبادات بحدودها، ومقاديرها المحدودة المقدره من
 جهة الأنبياء، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء، بل يجب فيها
 تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواص بنور النبوة، لا ببضاعة العقل
 وكما أن الأدوية تركبت من أخلاط مختلفة وبعضها ضعف البعض فى الوزن

= ورياضته إلا وسيلة إلى صفاء السر والفرار من الشواغل عن الحق
 فىمكن صوفيا فى مكتبك وكن صوفيا فى درسك ومتجرك ومصنعك كن
 كالعاشق الوهان لا "يمنعه عن حبه مانع أن الحب من مكنونات الجوانح .

فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص ، فكذلك العبادات التي هي أدوية داء القلوب ، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار ، حتى أن السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار ، ولا يخلو عن سر من الأسرار ، هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها إلا بنور النبوة (١) ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط ، بطريق العقل ، لها حكمة ، أو ظن أنها ذكرت على سبيل الاتفاق لا عن سر آلهي فيها ، يقتضيها بطريق الخاصية . وكما أن في الأدوية أصولا هي أركانها ، وزوائد هي متمماتها ، لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها ، كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل آثار أركان العبادات .

وعلى الجملة : فالأنبياء أطباء أمراض القلوب ، وإنما فائدة العقل وتصرفه ، أن عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العميان إلى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين . وإلى ههنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك ، إلا عن تفهم ما يلقيه الطبيب إليه .

(١) وهنا يشير الصوفي الكبير إلى أن فهم سر العبارة إنما تأتي عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم وبعد تمام الوصلة به وطريقها أن تسترشد به وتصوره في خيالك كأنك جالس بين يديه تتلقى منه ما يأمرك به من الحكم والارشادات وهذا سهل مع الممارسة وحبيب إلى القلب بعد الإدمان قال قائلهم لو حجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه عين ما عدت نفسى من الموحدين .

فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة، في مدة الخلوة والعزلة. ثم رأينا فتور الاعتقادات في أصل النبوة، ثم في حقيقة النبوة، ثم في العمل بما شرحته النبوة، وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق، فنظرت إلى أسباب فتور الخلق، وضعف إيمانهم، فاذا هي أربعة:

١ - سبب من الخائضين في علم الفلسفة .

٢ - وسبب من الخائضين في طرق التصوف .

٣ - وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم .

٤ - وسبب من معاملة الموسومين بالعلم بين الناس .

فإني تتبعت مدة آحاد الخلق، أسأل من يقصر منهم في متابعة الشرع، وأسأله عن شبهته وأبحث عن عقيدته وسره، وقلت له مالك تقصر فيها؟ فان كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا، فهذه حماقة، فإنك لا تتبع الاثنين بواحد فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام معدودة؟ وإن كنت لا تؤمن، فأنت كافر، فدير نفسك في طلب الايمان، وأنظر ما سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطنا، وهو سبب جرأتك ظاهراً، وإن كنت لا تصرح به تجملاً بالايمان وتشرفاً بذكر الشرع، فقائل يقول: « هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه، لكان العلباء أجدر بذلك، وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي، وفلان يشرب الخمر، وفلان يأكل أموال اليتامى، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز عن الحرام، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة، وهلم جرا إلى أمثاله... »

وقائل ثان يدعى علم التصوف ، ويزعم أنه قد بلغ مبلغا ترقى عن الحاجة إلى العبادة .

وقائل ثالث يتعلل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقائل رابع لقي أهل التعليم فيقول : « الحق مشكل ، والطريق إليه متسد ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التعليم متحكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟ » .

وقائل خامس يقول : « لست أفعل هذا تقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تعبداتها : ضبط عوام الخلق وتقيدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف . وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغن فيها عن التقليد . » .

هذا منتهى إيمان من قرأ مذهب فلسفة الآلهيين منهم ، وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي . وهؤلاء هم المتجملون بالاسلام وربما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر الجماعات والصلوات ، ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وأنواعا من الفسق والفجور ! وإذا قيل له « إذا كانت النبوة غير صحيحة فلم

تصلي؟ ، وربما يقول: «لرياضة الجسد، ولعادة أهل البلد، وحفظ المال والولدا» ، وربما قال: «الشريعة صحيحة، والنبوة حق، فيقال: « فلم تشرب الخمر؟ ، فيقول: «إنما نهى عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك، وإني أقصد به تشجيد خاطري، حتى أن ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها: أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا، وأن يعظم الأوضاع الشرعية، ولا يقصر في العبادات الدينية، ولا يشرب تليها بل تداويا وتشافيا فكان منتهى حالته في صفاء الإيمان، والتزام العبادات، أن استثنى شرب الخمر لغرض التشافي» .

فهذا إيمان من يدعى الإيمان منهم، وقد انخدع بهم جماعة، زادهم انخداعهم ضعف اعتراض المعترضين عليهم إذا اعترضوا بمجاهدة علم الهندسة والمنطق، وغير ذلك مما هو ضروري لهم، على ما بينا علته من قبل .

فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحد بهذه الأسباب، ورأيت نفسى لازمة مجتهدة ملبة كشف هذه الشبهة، حتى كان إفصاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم أعنى طرق الصوفية والفلاسفة والتعلبية والمتوسمين من العلماء انقذح في نفسى أن ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوقة والعزلة وقد عم الداء ومرض الأطباء وأشرف الخلق على الهلاك ثم قلت في نفسى متى تشغل أنت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت بدعوة الخلق عن طرقهم

إلى الحق لعاداك أهل الزمان في جمعهم وأنى تقاومهم . فكيف تعايشهم ؟
ولا يتم ذلك إلا بزمان مساعد وسلطان متدين قاهر فترخصت بينى وبين
الله تعالى بالاستمرار على العزلة وتعللا بالعجز عن إظهار الحق بالحجة
فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه لا بتحريك من
خارج فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور لتدارك هذه الفتنة وبلغ
الإلزام حداً كان ينتهى لو أصررت على الخلاف إلى حد الوحشة فخطر
لى أن سبب الرخصة قد ضعف فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة
العزلة الكسل والاستراحة وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ،
ولم ترخص نفسك لعسر مقاساة الخلق والله تعالى يقول « بسم الله الرحمن
الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم » الآية .

ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه ، ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات
الله ولقد جاءك من نبي المرسلين ، ويقول عز وجل « بسم الله الرحمن
الرحيم يس . والقرآن الحكيم . إلى قوله إنما تنذر من اتبع الذكر ،
فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات فاتفقوا على
الإشارة بترك العزلة والخروج من الزاوية وانصاف إلى ذلك منامات
من الصالحين كثيرة متواترة تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدر
الله سبحانه على رأس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على
رأس كل مائة فاستحکم الرجاء وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات

ويسر الله الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعائه وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعائه وبلغت مدة العزلة إحدى عشر سنة وهذه حركة قدرها الله تعالى وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقذاح في القلب في هذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الأحوال مما يخطر أمكانه أصلاً بالبال والله تعالى مقلب القلوب والأحوال و (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) وأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم فما رجعت فإن الرجوع عود إلى ما كان وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي يكسب الجاه وأدعوا إليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي ونيتي وأما الآن فادعوا إلى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه هذا الآن هو نيتي وقصدي وأمنيتي يعلم الله ذلك مني وأنا أبغى أن أصلح نفسي وغيري ولست أدري أصل إلى مرادى؟ أم أخترم دون غرضي ولكني أؤمن إيماناً يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأنى لم أتحرك لكنه حركني وأنى لم أعمل لكنه استعملني فأساله أن يصلحني أولاً ثم يصلح بي ويهديني ثم يهدي بي وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه، ونعود الآن إلى ما ذكرنا من أسباب ضعف الإيمان بذكر طريق إرشادهم وإنقاذهم من مهالكهم أما الذين ادعوا الخيرة بما سمعوه من أهل التعليم فعلاجه ما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم ولا نطول بذكره في هذه الرسالة، وأماماتهم أهل "الاباحة" فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع وكشفناها

في كتاب كيمياء السعادة ، وأما من فسد إيمانه بطريق الفلسفة حتى أنكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الأدوية والنجوم وغيرها وإنما قدمنا هذه المقدمة لأجل ذلك ، وإنما أوردنا الدليل من خواص الطب والنجوم لأنه من نفس عليهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة ، وأما من أثبت النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة مؤمن بحكمه له طابع مخصوص يقتضى طابعه أن يكون متبوعا وليس هذا من النبوة في شيء ، بل الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان والبصر عن إدراك الأصوات وجميع الحواس عن إدراك المعقولات فإن لم يجوز هذا فقد أقمنا البرهان على إمكانه بل على وجوده ، وإن جوز هذا فقد أثبت أن ههنا أموراً تسمى خواص لا يدور تصرف العقل حوالها أصلا بل يكاد العقل يكذبها ويقضى باستحالتها ، فأن - سدس الدرهم - وزن دائق من الأفيون سم قاتل لأنه يجمد الدم في العروق لفرط برودته والذي يدعى علم الطبيعة يزعم أن ما يبرد من المركبات إنما يبرد بعنصرى الماء والتراب فهما العنصران الباردان ومعلوم أن أرطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريدهما في الباطن إلى هذا الحد فلو أخبر طبيعى بهذا ولم يجربه لقال هذا محال والدليل على استحالة أوفيه نارية وهوائية والهوائيه والنارية لا تزيد بها برودة ، فنقدر

الكل ماء وترابا ، فلا يوجب هذا الإفراط بالتبريد ، فإني انضم إليه
 حاران فبأن لا يوجب أولى ويقدر هذا برهاننا وأكثر براهين الفلاسفة
 في الطبيعيات والالهيات مبني على هذا الجنس فإني تصوروا الأمور على
 قدر ما وجدوه وعقلوه ، وما لم يألفوه قدروا استحالاته ولو لم تكن الرؤيا
 الصادقة مألوفة وادعى مدع أنه عند ركود الخواص يعلم الغيب لأنكره
 المتصفون بمثل هذه العقول ولو قيل لواحد هل يجوز أن يكون في الدنيا
 شيء هو بمقدار حبة يوضع في بلدة ليأكل كل تلك البلدة بحملتها ثم يأكل
 نفسه فلا يبقى شيئا من البلدة وما فيها ولا يبقى هو نفسه ، لقال هذا
 محال وهو من جملة الخرافات ، وهذه حالة النار ينكرها ما لم ير النار إذا
 سمعها ، وأكثر إنكار عجائب الآخرة هو من هذا القبيل ، فنقول للطبيعي
 قد اضطررت إلى أن تقول في الأفيون خاصية في التبريد ليس على قياس
 المعقول بالطبيعة فلم لا يجوز أن يكون في الأوضاع الشرعية من الخواص
 في مداوة القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية ، بل لا يبصر
 ذلك إلا بعين النبوة ، ما بل قد اعترفوا بخواص هي أعجب من هذا فيما
 أوردوه في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجرية في معالجة الحامل التي
 عسر عليها الطلق بهذا الشكل .

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

د	ط	ب
ج	هـ	ز
ح	ا	و

يكتب على خرقتين لم يصبها ماء وتنظر إليهما الحامل بعينها وتضعها

تحت قدمها فيسرع الولد في الحال إلى الخروج ، وقد أقروا بإمكان ذلك وأوردوه في كتاب عجائب الخواص وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر قرأته في طول الشكل أو في عرضه أو جوانبه — فياليت شعري من يصدق بذلك ، ثم لا يتسع عقله للتصديق بأن تقدير صلاة الصبح بركعتين والظهر بأربع والمغرب بثلاث هي لخواص غير معلومة بنظر الحكمة وسببها اختلاف هذه الأوقات وإنما تدرك هذه الخواص بنوره النبوة ، والعجب أنا لو غيرنا العبارة إلى عبارة المنجمين لتعلموا اختلاف هذه الأوقات ، فتقول أليس يختلف الحكم في الطالع بأن تكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو في الغارب ، حتى يبنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف العلاج وتفاوت الأعمار والآجال ولا فرق بين الزوال وبين كوف الشمس في وسط السماء وبين المغرب وبين كون الشمس في الغارب فهل لتصديقه سبيل ، إلا أن ذلك يسمعه بعبارة المنجم لعله جرب كذبه مائة مرة ، ولا يزال يعاود تصديقه ، حتى لو قال المنجم له إذا كانت الشمس في وسط السماء ، ونظر إليها الكوكب الفلاني ، والطارح ، هو البرج الفلاني ، فلبست ثوباً جديداً في ذلك الوقت ، وربما يقاسى فيه البرد الشديد ، وربما سمعه من منجم وقد عرف كذبه مرات ، فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البداهة ويضطر إلى الاعتراف بأنها خواص معرفتها معجزة لبعض الأنبياء فكيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب ، فإن أنكر فلسفي إمكان هذه

الخواص في اعداد الركعات ورمى الجمار وعدد أركان الحج وسائر
تعبات الشرع ، لم يجد بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا
فإن قال قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من الطب ، فوجدت بعضه
صادقا ، فانهضح في نفسى تصديقه ، وسقط من قلبى استبعاده ونفرته ،
وهذا لم أجربه . فبم أعلم وجوده وتحقيقه أن أقررت بإمكانه ، فأقول
إنك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجريين وقلدتهم ،
فاسمع أقوال الأنبياء فقد جربوا وشاهدوا الحق في جميع ماورد به الشرع ،
واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على أنى أقول ، وأن لم تجربه
فيقضى عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعاً ، فإننا لو فرضنا رجلا
بلغ وعقل ولم يجرب المرض فرض له والد مشفق حاذق بالطب يسمع
دعواه في معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء فقال هذا يصلح
لمرضك ، ويشفيك من سقمك فإذا يقتضيه عقله ، وإن كان الدواء مرأ
كريبه المذاق ، أيناول ، أو يكذب ويقول ؟ أنا لا أعقل مناسبة هذا الدواء
لتحصيل الشفاء ، ولم أجربه ، فلا شك أنك تستحقه إن فعل ذلك ،
وكذلك تستحقك أهل البصائر في توقعك ، فإن قلت فبم أعرف شفقة
النبي عليه السلام ومعرفته بهذا الطب فأقول ، وبم عرفت شفقة أيبك
وليس ذلك أمراً محسوساً ، بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في
في مصادره وموارده علماً ضرورياً لا تهاوى فيه ومن نظر في أقوال
رسول الله عليه السلام وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق
وتلطفه في جر الناس بأنواع الرفق واللطف إلى تحسين الأخلاق وإصلاح

ذات البين ، وبالجملة إلى ما يصلح إلى به دينهم ودنياهم ، حصل له علم ضرورى بأن شفقتة على أمته أعظم من شفقه الوالد على ولده وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال ، وإلى عجائب الغيب الذى أخبر عنه القرآن على لسانه وفي الأخبار ، وإلى ما ذكره فى آخر الزمان فظهر ذلك كما ذكره ، علم علماً ضرورياً أنه بلغ الطور الذى وراء العقل وانفتحت له العين التى يتكشف منها الغيب الذى لا يدركه إلا الخواص والأمور التى لا تدركها العقول ، فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضرورى بتصديق النبى عليه السلام فحرب وتأمل القرآن وطالع الأخبار تعرف ذلك بالعيان ، وهذا القدر يكفى فى تنبيه المتفلسفة ذكرنا لشدة الحاجة إليه فى هذا الزمان ، وأما السبب الرابع ، وهو ضعف الإيمان بسبب سوء سيرة العلماء فيداوى هذا المرض بثلاثة أمور .

أحدها أن تقول أن العالم الذى نزع أنه يأكل الحرام ، معرفته بتحريم الخمر ولحم الخنزير والربا بل بتحريم الغيبة والكذب والنميمة ، وأنت تعرف ذلك وتفعله لا لعدم إيمانك بأن معصية ، بل لشهوتك الغالبة عليك فشوته كشهوتك ، وقد غلبته كما غلبتك ، فعلمه بمسائل وراء هذا يتميز به عنك لا يناسبه زيادة زجر عن هذا المحذور المعين ، وكم من مؤمن بالطب لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد ، وإن زجره الطبيب عنه ، ولا يدل ذلك على أنه غير ضار ، أو على أن الإيمان بالطب غير صحيح فهذا محل هفوات العلماء .

الثاني أن يقال للعامي ينبغي أن تعتقد أن العالم اتخذ عليه ذخراً لنفسه في الآخرة ويظن أن عليه ينجيه، ويكون شفيحاً له حتى يتساهل معه في أعماله لفضيلة عليه وإن جاز أن يكون زيادة حجة عليه، فهو يجوز أن يكون زيادة درجة له، وهو ممكن، فهو وإن ترك العمل يدلي بالعلم، أما أنت أيها العامي إذا نظرت إليه، وتركت العمل، أنت عن العلم عاطل فتهلك لسوء عمالك ولا شفيع لك.

الثالث وهو الحقيقة أن العالم الحقيقي لا يصادف معصية إلا على سبيل الهفوة ولا يكون مصراً على المعاصي أصلاً، إذا العلم الحقيقي ما يعرف أن المعصية سم مهلك وأن الآخرة خير من الدنيا، ومن عرف ذلك لا يبيع الخير بما هو أدنى منه، وهذا العلم لا يحصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها أكثر الناس، فلذلك لا يزدحم ذلك العلم، إلا جرأة على معصية الله تعالى، وأما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفاً ورجاءاً وذلك يحول بينه وبين المعاصي إلا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات، وذلك لا يدل على ضعف الإيمان فالؤمن مفتن تواب، وهو بعيد عن الأصرار والإكباب، هذا ما اردت ان اذكره في ذم القلسفة والتعليم وآفاتهما من انكر عليهما لا بطريقه.

ونسأل الله العظيم أن يجعلنا من أثره واجتباؤه، وارشده الى الحق وهداه، والهمه ذكره حتى لا ينساه، وعصمه عن شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

اتتهى

كَيْمِيَا السُّعُودِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أصدق قلوب الأصفياء بالمجاهدة، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة، وحلّى السنة المؤمنين بالذكر (١) وحلّى خواطر العارفين بالفكر، وحرس سواد العباد عن الفساد، وحبس مراد الزهاد على السداد، وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات، وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات.

(١) لا ريب أن الصوفية مجمعون على أن الذكر منشور الولاية فمن أعطى الذكر فقد أعطى المنشور وطريقة الغزالي التي وصل بها إلى مناه أنه اختلى بذكر بالاسم المفرد الله حتى أراد الله سبحانه وتعالى ما أراه وإسمه تعالى الله ومعناه، علم على الذات، مأذون بذكره في جميع الحالات لأنه الاسم الجامع لجميع الحضرات وأما بقية أسماء الله تعالى الحسنى فإن الذكر بها أو ببعضها إنما يكون بناء على الاشارات فلا تشغل نفسك في بدء السير إلا يذكر اسم الذات وبه تتأهل للدخول في الحضرات فاذكره مستحضراً معناه متمثلاً جلوسك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فإنه الامام الذي لن يدخل أحد حضرة القدس إلا من طريقه.

وقبل أعمال الاخيار بأداء الصلوات ، وأيد خصال الأحرار بأسد
الصلوات أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته ، وشاهد الشواهد
من فرداينته ووحداينته ، وطرق طوارق سره وبره ، وقطف ثمار
معرفة من شجر سجده وجوده ، وأشكره شكر من اخترق واعترف
من نهر فضله وإفضاله ، وأؤمن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه
وأنبيائه وأصفياؤه ، ووعدده وعيده وثوابه وعقابه ، وأشهد أن لا إله الله
وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعنه لأصلاب الفسقة
والفجرة قاصما . ولعري الجاحدين والمارقين قاصما . ولباغى الشك
والشرك قاصما ، ولأتباع الحق والإحسان ناصراً ، فصلوات الله عليه
وعلى آله وأصحابه أجمعين .



عنوان معرفة النفس

اعلم — أن الكيمياء الظاهرية لا تكون في خزائن العوام وإنما تكون في خزائن الملوك ، فكذلك كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ، ففي السماء جواهر الملائكة ، وفي الأرض قلوب الأولياء العارفين ، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق (١) ويكون عمله كالدينار البهرج فيظن في نفسه أنه غني وهو مفلس في القيامة كما قال سبحانه وتعالى « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن أرسل إليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي يعلمون الناس نسخة الكيمياء ويعلمونهم كيف

(١) وإنما يمكنك أخذ هذه الكيمياء كما يسميها حجة الاسلام من النبي صلى الله عليه وسلم إذا توجهت بكليتك في السير إليه واستحضرت ذاته ومثاله في الأذكار الخلوية وأخذ هذه الكيمياء من غير حضرته صلى الله عليه وسلم قليل الجدوى وخطأ في الطريق كما صرح رضى الله عنه به وأنت باب الله أى امرئ... أتاك من غيره لا يدخل .

وقد تؤخذ هذه الكيمياء عن بعض كبار العارفين ولكن عطايهم مصحوبة بالمن وكثيرة الفتن ولأدنى خاطر من المرید يغضب الشيخ فتشتد على السالك المحن ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم فاجعله شيخك كما جعله حجة الاسلام تأمن العثار وتعش حر الروح في الحضرة طليقا ومن رق الزوجية عتيقا .

يجعلون القلب في كور المجاهدة وكيف يطهرون القلب من الأخلاق المذمومة ، وكيف يؤدونه لطرق الصفاء كما قال سبحانه وتعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، أي يطهرهم من الأخلاق المذمومة ومن صفات البهائم ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم ، ومقصود هذه الكيمياء إن كل ما كان من صفات النقص يتعري منه وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه ، وسر هذه الكيمياء أن ترجع من الدنيا إلى الله كما قال سبحانه وتعالى « وتبتل إليه تبتيلا » وفضل هذه الكيمياء طويل .

فصل في معرفة النفس

إعلم — أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه وتعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وليس شيء أقرب إليك من نفسك ، فإذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك ، فإن قلت إني أعرف نفسي فإنما تعرف الجسم الظاهر الذي هو اليد والرجل والرأس والجمجمة ولا تعرف ما في باطنك من الأمر الذي به إذا غضبت طلبت الخصومة وإذا اشتيت طلبت النكاح ، وإذا جعت طلبت الأكل ، وإذا عطشت طلبت الشرب ، والدواب تشاكك في هذه الأمور ، فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدري أي شيء أنت ومن أين جئت إلى هذا المكان ، ولأي شيء خلقت ، وبأي شيء

سعادتك، وبأى شيء شقاؤك، وقد جمعت في باطنك صفات، منها صفات البهائم، ومنها صفات السباع ومنها صفات الملائكة، فالروح حقيقة جوهرها غريب منك وعارية عندك، فالواجب عليك أن تعرف هذا وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة، فإن سعادة البهائم في الأكل والشرب والنوم والنكاح، فإن كنت منهم فاجتهد في أعمال الجوف والفرج، وسعادة السباع في الضرب والفتك، وسعادة الشياطين في المكر والشر والحيل، فإن كنت منهم فاشتغل باشتغالهم، وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية، وليس للغضب والشهوة إليهم طريق فإن كنت من جوهر الملائكة فاجتهد في معرفة أصلك (١) حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الآلهية، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب، وتعلم أن هذه الصفات لأى شيء ركبت فيك، فما خلقها الله

(١) بالاستغراق في الذكر والمكث في الحضرة الآلهية بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مازجا بروحك بروحه وعقلك بعقله حتى تتلقى منه الفيوضات ويتجلى عليك الحق تبعا لتجليه على الروح النبوية فاصل الامداد ينهل من هناك فلا تعرج بروحك مع الصور التي تتشكل في بعض العارفين فان هذا أكبر حجاب واجعل شعارك ما قال الخضر لموسى، هذا فراق بيني وبينك، حتى لا تشتغل بغير التوحيد واعلم أن روح النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الارواح اليك لأنك من نوره بخلقت وعود الفرع إلى الأصل سهل الحصول.

تعالى لتكون أسيرها ولكن خالقها حتى تكون أسراك، وتسخرها للسفر
الذى قد أمك وتجعل إحداها مركبك والأخرى سلاحك حتى تصيد بها
سعادتك، فإذا بلغت غرضك فارم بها تحت قدميك وارجع إلى مكان
سعادتك، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الإلهية، وقرار العوام
درجات الجنة، فتحتاج إلى معرفة هذه المعاني حتى تعرف من نفسك
شيئا قليلا، فكل من لم يعرف هذه المعاني فنصيبه من القشور، لأن الحق
يكون عنه محجوبا.

(فصل) إذا شئت أن تعرف نفسك فاعلم أنك من شيتين الأول
هذا القلب — والثاني يسمى النفس والروح، والنفس هو القلب الذى
تعرفه بعين الباطن، وحقيقتك الباطن لأن الجسد أول وهو الآخر،
والنفس آخر وهو الأول، ويسمى قلبا وليس القلب هذه القطعة اللحمية
التي فى الصور من الجانب الأيسر، لأنه يكون فى الدواب والموتى، وكل
شيء تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة، وأما
حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو فى هذا العالم
غريب، وتلك القطعة اللحمية مركبه (١) وكل أعضاء الجسد عساكره

(١) فتزول الأنوار القدسية من أعمال العبادات أول ما تنزل على هذه
القطعة اللحمية التي هي مجمع الذرات الكهربائية فتنبت فيها وتسير فى عروق
الإنسان فتمتلئ النفس انشراحا وكلما كثرت الأنوار القدسية على تلك القطعة
اللحمية كلما كثرت أضواؤها على الحواس الباطنة والظاهرة وقد تترام
الأنوار على هذا القلب وتكثر الأشعة النورانية عليه حتى ليضيء الجسم =

وهو الملك ، ومعرفة الله ومشاهدة جمال الحضرة صفاته ، والتكليف عليه والخطاب معه وله الثواب وعليه العقاب ، والسعادة والشقاء تلحقانه ، والروح الحيوانى فى كل شىء تبعه ومعه ، ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى ، فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة ، وأصل معدنه من الحضرة الالهية ، من ذلك المكان جاء وإلى ذلك المكان يعود .

(فصل) أما سؤالك ما حقيقة القلب فلم يجىء فى الشريعة أكثر من قول الله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » لأن الروح جزء من جملة القدرة الالهية وهو من عالم الأمر ، قال الله عز وجل أله الخلق والأمر ، فالإنسان من عالم الخلق من جانب ، ومن عالم الأمر من جانب فكل شىء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق ، وليس للقلب مساحة ولا مقدار ، ولهذا لا يقبل القسمة ، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق ، وكان من جانب الجهل جاهلاً ومن جانب العلم عالماً ، وكل شىء يكون فيه علم وجهل فهو محال ، وفى معنى آخر هو من عالم الأمر ، وعالم الأمر عبارة عن شىء من الاشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق اليه ، وقد ظن بعضهم أن الروح قديم فغلطوا ، وقال قوام إنه عرض فغلطوا الآن العرض لا يقوم بنفسه ويكون تابعا لغيره فالروح هو أصل ابن آدم ، وقال ابن آدم تبع له فكيف يكون عرضاً ؟

== حقيقة كاجساد الانبياء . يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً .

وقال قوم إنه جسم فغلطوا الآن الجسم يقبل القسمة ، فالروح (١) الذي

(١) قال الدهلوى فى الحججة قول الله تعالى ، ويسألونك عن الروح ، الآية ، ليست نصا فى أنه لا يعلم أحد من الأمة حقيقة الروح كما يظن وليس كل ماسكت عنه الشرع لا يمكن معرفة البتة بل كثيرا ما يسكت عنه لدقته على العامة وإن أمكن معرفته للخاصة قال واعلم أن الروح أول ما يدرك من حقيقتها انها مبدأ الحياة فى الحيوان وأنه يكون حيا بنفح الروح فيه ويكون ميتا بمفارقة لها ثم إذا أمعن فى التأمل ينجلي أن فى البدن بخارا لطيفا متولدا فى القلب من خلاصة الاخلاط يحمل القوة الحساسة والمحركة والمدبرة وتختلف هذه القوة الحساسة باختلاف رقة هذا البخار وغلظته وصفائه وكدره ومثل هذا البخار فى البدن مثل ماء الورد فى الورد وكمثل النار فى الفج ثم إذا أمعن فى النظر أيضا انجلي أن هذا الروح مطية الروح الحقيقية وماده لتعلقها فالشيء الذى هو به هو ليس هذا الروح ولا هذا البدن بل الروح فى الحقيقة حقيقة فردانية ونقطة نورانية لها تعلق خاص بالروح المتكون من صحه المزاج والحيوية الناشئة من التفاعل الكيميائى الناتج من الغذاء وكما لها تعلق بهذه الروح . (أولا) لها تعلق بالبدن . (ثانيا) من حيث أن البدن مطية الروح الكيميائى فالروح إذا هى الطاقة القدسية المتعلقة بالروح الكيميائية التى يسميها الدهلوى فى الحججة بالنسمة التى مطيتها البدن قال رضى الله عنه وقد تحقق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك النسمة عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها لانفكاك الروح القدسى عن النسمة ، إذا تحللت النسمة فى الأمراض المدققة وجب فى حكمة الله أن يبقى شيء من النسمة بقدر ما يصح ارتباط الروح الالهى بها وإذا مات الانسان كان للنسمة نشأة أخرى تستمد مادتها من =

سميناه قلباً وهو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة ، ومعرفة الروح صعبة جداً ، لأنه لم يرد في الدين طريق إلى معرفته لأنه لا حاجة في الدين إلى معرفته ، لأن الدين هو المجاهدة ، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يحز أن يتحدث معه في معرفة حقيقة الروح ، وأول أسس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب ، لأن الإنسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد .

(فصل) أعلم أن النفس مركب القلب ، وللقلب عساكر كما قال سبحانه وتعالى — وما يعلم جنود ربك إلا هو — والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلباً لسعادته ، وسعادته معرفة ربه عز وجل ، ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه ، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس ، والحواس من القلب والقلب مركبه ، ثم معرفة صيده ومعرفة شبكته ، والقلب لا يقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة ، وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش في

= الحياة البرزخية وتتصل بها الروح الالهى وهنا تنشأ الحياة البرزخية ويمكن تشبيه الانسان البرزخى على تصوير الدهلوى وهو من المكاشفين بما يشبه الانسان المتحرك على الشريط السينمائي فهو إنسان لطيف تخلص من المادة وبقيت نسمة هذه تفاض عليها مادة الحياة في النشأة البرزخية وقد تكتسى هذه النسمة كما قال الشيخ لبابا نورانيا أو ظلها نيا حسب عمل ابن آدم في الحياة .

الباطن ، وعلى خطر من الماء والنار في الظاهر ، وهو مقابل أعداء كثيرة .
 (فصل) وتحتاج أن تعرف العسكرين ، وذلك أن العسكر الظاهر
 هو الشهوة والغضب ومنارهم في اليدين والرجلين والعينين والأذنين
 وجميع الأعضاء ، وأما العسكر الباطن فمنازله في الدماغ وهو قوى الخيال
 والتفكير والحفظ والتذكر والوهم ، وكل قوة من هذه القوى عمل
 خاص ، فإن ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم في الدارين ، وجملة
 هذين العسكرين في القلب وهو أميرهما ، فإن أمر اللسان أن يذكر ذكر ،
 وإن أمر اليد أن تبطش ببطش ، وإن أمر الرجل أن تسعى سعت ،
 وكذلك الجواس الخس حتى يحفظ نفسه كما يدخر الزاد للدار الآخرة
 ويحصل الصيد وتم التجارة ويجمع بذر السعادة ، وهو لاطاعون
 للقلب كما أن الملائكة طاعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره .

فصل في معرفة القلب وعسكره

إعلم أنه قيل في المثل المشهور — إن النفس كالمدينة ، واليدين
 والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها . والقوة
 الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها — والملك يدبرهم حتى
 تستقر مملكته وأحواله لأن الوالي وهو الشهوة كذاب فضولي مخلط ،
 والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب ، فإن تركهم الملك على ما هم عليه
 هلكت المدينة وخربت ، فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالي
 والشحنة تحت يد الوزير ، فإذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة

وتعمرت المدينة، وكذلك القلب يشاور العقل ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية، ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة هلكت نفسه وكان قلبه شقياً في الآخرة.

(فصل) أعلم أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان أمر الطعام والشراب والنكاح لحم الحواس، ثم النفس خادم الحواس والحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع الباري. جلّت قدرته، ثم الحواس خادم العقل وهو القلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الإلهية لأن الحنة وهي نصيب الجوف أو الفرج محتقرة في جنب تلك الجنة، ثم العقل خادم والقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الإلهية، فمن اجتهد في هذه الصنعة فهو عبد حق من غلمان الحضرة كما قال سبحانه وتعالى — وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون — معناه انا خلقنا القلب وأعطينا الملك والعسكر وجعلنا النفس مركبة حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين فإذا أراد أن يؤدي حق هذه النعمة جلس مثل السلطان في صدر مملكته وجعل الحضرة الإلهية قبلته (۱) ومقصده وجعل الآخرة وطنه وقراره، والنفس مركبه والدنيا

(۱) يشير رضى الله عنه إلى ان القلب الذى يريد المعرفة يتوجه إلى الله بالمراقبة ووسيلة هذا عملياً على طريقة الغزالي ان تختلئ للذكر مستحضراً معنى المذكور بالقلب محركا للسان بلفظ ، الله ، لأنه الاسم الجامع —

منزله واليدن والقدمين خدامه ، والعقل وزيره ، والشهوة عامله ، والغضب شحنته ، والحواس جواسيسه ، وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له احوال العوالم ، وقوة الخيال في مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده أخبار الجواسيس ، وقوة الحفظ في وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحفظها إلى أن يعرضها على العقل فإذا بلغت هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها ، فإذا رأيت واحداً منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب فعليك بالمجاهدة ولا تقصد قتلها لأن المملكة لا تستقر إلا بهما ، فإذا فعلت ذلك كنت سعيداً وأديت حق النعمة ووجبت لك الخلعة في وقتها ، وإلا كنت شقياً ووجب عليك النكال والعقوبه .

== للحضرات وعلى طريقة الغزالي أيضاً تستحضر النبي صلى الله عليه وسلم في ذاكرتك لتمتزج بروحك بروحه وعلى قدر امتزاج روحك بروح النبي صلى الله عليه وسلم يكون إمدادك وقد صرح الغزالي في المنفذ بأن إمامه هو النبي المعصوم وليس للغزالي شيخ إلا النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة الغزالي في الوصول إلى الحضرة الالهية من باب النبوة هي أسلم الطرق وأخصرها وهي مأمونة العواقب سيما للخواص . فان قلت أليس الشيخ بلازم في طريق الوصول إلى الله ؟ والجواب أن العوام لا يمكن انتفاعهم إلا على يد الشيوخ ومن المؤكد أن انتفاعهم من الشيوخ محدود بالشيخ ومعارفه وأسراره وأما مقامات المعرفة فليس لها إلا سبيل واحد وهو ماشرحه الغزالي في كتبه ورسائله من الاستغراق في الجهاد على يد النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته والامتزاج بروحه صلى الله عليه وسلم .

(فصل) تمام السعادة مبنی على أشياء ، قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم ، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطا لثلاث تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك ، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك فإذا توسطت القوتان بإشارة قوه العدل دل على طريق الهداية ، وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل وإذا نقص ، ذهب الغيرة والحمية في الدين والدنيا ، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور ، وإن نقصت كان العجز والفتور ، وإن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك .

(فصل) إعم أن للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء ، وبعضها أخلاق الحسن ، فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة ، وبالأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء ، وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس ، أخلاق الشياطين ، وأخلاق البهائم ، وأخلاق السباع وأخلاق الملائكة ، فأعمال السوء من الأكل والشرب والنوم والنكاح هي أخلاق البهائم ، وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة هي أخلاق السباع ، وكذلك أعمال النفس وهي المكر والحيلة والغش وغير ذلك هي أخلاق الشياطين ، وكذلك أعمال العقل التي هي الرحمة والعلم والخير هي أخلاق الملائكة (١) .

(١) وقد جعل الله سبحانه أدوية هذه الامراض والأخلاق السيئة في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فكل سنة دواء لمرض وكل مستحب —

(فصل) واعلم أن في جلد ابن آدم أربعة أشياء — الكلب والخنزير
والشيطان والملك ، والكلب مذموم في صفاته وليس بمذموم في صورته
وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم في صفاتهم وليس ذلك في
صورهم وخلقهم ، وكذلك الخنزير مذموم في صفاته وليس بمذموم في
خلقه ، وقد أمر ابن آدم بأن يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفا من الفتنة
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم — مامن أحد إلا وله شيطان ولي شيطان
وان الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته — وكذلك الشهوة والغضب
ينبغي أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلون شيئا إلا بأمره فإن فعل ذلك
صح له حسن الأخلاق وهي صفات الملائكة وهي بذر السعادة ، وإن عمل
بخلاف ذلك فخدم الشهوة والغضب صح له الأخلاق القبيحة وهي صفات
الشياطين وهو بذر الشقاء ، فيتبين له في نومه كأنه قائم مشدود الوسط
يخدم الكلب والخنزير ، وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجلا مسلما
يجسهم عند كافرين فكيف يكون حالك يوم القيامة إذا حبست الملك
وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير .

== علاج لخلق فالسنة عقاير الأمراض فان أردت أن تتخلص من أمراضك
كلها فاعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأها أولا في كتب
السنن كسنن أبي داود مثلا وقرأ شمائل الترمذي وقلد النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم في حركاته وسكناته وأكمله وشربه كل ذلك بقدر ما تستطيع
فأتقوا الله ما استطعتم .

(فصل) واعلم أن الإنسان في صورة ابن آدم اليوم (١) وغد تنكشف له المعاني فتكون الصور في معنى المعاني ، فأما الذي غاب عليه الغضب فيقوم في صورة الكلب ، وأما الذي غلب عليه الشهوة فيقوم في صورة الخنزير لأن الصورة تابعة للمعاني ، وإنما يبصر النائم في نومه ما صح في باطنه ، وإنما عرفت أن الإنسان في باطنه هذه الأربعة فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ويعرف من أي الأربعة هو فإن صفاته تحصل في قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة ، وإن بقي معه من جملة الباقيات الصالحات شيء فهو بذر السعادة ، وإن بقي معه غير ذلك فهو بذر الشقاء وابن آدم لا ينفك ولا ينفصل عن حركة أو سكون وقلبه مثل الزجاج وأخلاق السوء كال دخان والظلمة ، فإذا وصل إليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة ، وأخلاق الحسن كالنور والضوء ، فإذا وصل إلى القلب طهره من ظلم المعاصي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — اتبع السيئة الحسنة تمحها — والقلب

(١) وقد يكون في الصورة الملك اليوم وقد يكون في صورة النبي صلى الله عليه وسلم القوم فالتزاوج في الروح سبب للشقاوة أو السعادة والحب هو سبب هذا التزاوج فمن أحب كلباً أو زانية أو غلاماً فقد أصبحت روحه مكبلة بهذا الحجاب المؤدى إلى النار ومن استغرقت روحه في استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم حتى كأنه يراه أو حتى ينسى نفسه معه صلى الله عليه وسلم فقد دخل حضرة الله وتجلي له الحق على قدر تجليه على الروح المتعلق بها وقد يستغرق الفكر في معنى الاسم الذي يذكره المرید حتى يتخلق بمعناه فيتجلى عليه الحق بأنوار هذا الاسم .

إما مضى، أو مظلم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم .

(فصل) واعلم أن الشهوة والغضب اللتان في البهائم جعلتا أيضا في ابن آدم ، ولكنه أعطى شيئا آخر زيادة عليها للشرف والكمال ، وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى وجملة عجائب صنعه ، وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصل له صفات الملائكة ، ولذلك يظفر بالسباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا » .

فصل في عجائب القلوب

أعلم ان للقلب باين للعلوم واحد للاحلام (١) والثاني لعالم اليقظة ، وهو الباب الظاهر الى الخارج فإن نام غلق باب الحواس ، فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت ، ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء ، وربما احتاج كشفه إلى شيء من تعبير الأحلام (٢) ، وأما

(١) إذا واظب المرید على الذكر بطريقة الغزالي في مجاهداته التي أساسها الخلوة بالذكر مع تقليل الأكل والنوم والاتجاه بالكلية إلى الله عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يفتح عليه في النوم أولا بأن يؤمر ببعض الأعمال الصالحة من ذكر وغيره والذكر على المسبحة من مناهج الصوفية فقد روى الجنيد ممسكا مسبحة في آخر حياته فقيل له في ذلك فقال لاترك شيئا وصلنا به إلى الله .

(٢) وهذا لأن طريق القوم في الغالب إشارات ومبتدئات في النوم

ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به اليقظة وأن اليقظة أولى بالمعرفة مع أنه لا يبصر في اليقظة شيء من عالم الغيب ، وما يبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر طريق الحواس .

(فصل) وتحتاج أن تعرف في ضمن ذلك أن القلب مثل المرآة ، واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضا ، لأن فيه صورة كل موجود ، وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما في إحداهما في الأخرى ، وكذلك تظهر صور ما في اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من شهوات الدنيا ، فإن كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه وإن كان في حال النوم فارغا من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التي في اللوح المحفوظ وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال لذلك يكون الذي يبصره تحت ستر القشر ، وليس كالحق الصريح مكشوقا ، فإذا مات أي القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس ، وفي ذلك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له « فكشفنا عنك

= وفي اليقظة على السنة العارفين ينتفع بها منهم من سار على نهجهم وقد يصل المرید بإشارة واحدة من أحد العارفين وقد كانوا يلقون بعضهم بعضا لينتفع كل بما عند الآخر من تجارب المجاهدات وهذه هي المشيخة والارادة في العهد الأول أي عصر الجنيد ومن معه أما نظام التشايخ والارادة في العصور المتأخرة فغير مفيد في الوصول إلى الله وإنما هو إرشاد كنظام الوعظ والامر بالمعروف ولا بأس به للعوام أما حقيقة التصوف فهي التفرد بالمجاهدة كنحو نظام الغزالي والارتواء من كوثر النبوة مباشرة

غطاءك فبصرك اليوم حديد .

(فصل) واعلم أنه ما من أحد إلا ويدخل في قلبه الخاطر المستقيم .
وبيان الحق على سبيل الإلهام ، وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل
يدخل في القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت
والحواس مخلوقة لهذا العالم - عالم الملك - فلذلك يكون حجابها عن
مطالعة ذلك العالم إذا لم يكن فارغا من شغل الحواس .

(فصل) ولا تظن أن هذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح
باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من يد الشهوة والغضب
والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فإذا جلس في مكان خال وعطل
طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب في مناسبة عالم
الملكوت وقال دائما - الله الله الله - بقلبه دون لسانه إلى أن يصير
لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئا إلا الله سبحانه
وتعالى انفتحت تلك الطاقة ، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم
فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجليلة ،
وانكشف له ملكوت السموات والأرض ورأى ما لا يمكن شرحه
ولا وصفه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « زويت لي الأرض فرأيت
مشارقها ومغاربها » وقال الله عز وجل « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت
السموات والأرض ، لأن علوم الأنبياء عليهم السلام كلها كانت من هذه
الطريق لا من طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى « واذكر اسم ربك
وتبتل إليه تبتلا » معناه الانقطاع عن كل شيء ، وتطهير القلب من كل

شيء (١) ، والابتهاال إليه سبحانه وتعالى بالسكاية ، وهو طريق (٢) الصوفية في هذا الزمان ، وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء (٣) ، وهذا الدرجة

(١) لم يذكر الغزالي أنه ذهب لأحد الشيوخ وجلس بين يديه وأخذ منه العهد وصار معه كالميت بين يدي المغسل بل خلاصة تصوفه استغراق في الذكر بالاسم المفرد في الخلوة بمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم كما صرح به الغزالي في المنتقى فقد أجمع الصوفية على أن طريقهم لا بد فيه من الرفيق ألا ترى إلى مرافقة جبريل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وفيه إشارة كبرى إلى الأزواج في السير إلى الله لا أن يكون الشيخ حجاً بالبريد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) يشير رضي الله عنه إلى طريقته هو التي وصل بها إلى الله وهي تلخص في المجاهدة من سهر وقلة أكل وعزلة عن الناس وذكر بالاسم المفرد مستحضراً معنى الاسم ، الذي هو علم على الذات ، وجالساً بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واضعاً فاك على ثدي النبوة لن تظلم عن نديه صلى الله عليه وسلم حتى تاتي حبيبتك :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزلى وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنى الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

هذه طريقة الغزالي وهي طريق الصوفية في القرون الأولى إلى عهد الغزالي أما ما نراه اليوم من شيوخ تجلس وحولها الاتباع يعبدون هذه الأشياء فانما ذلك كهباة الناس فيما قبل الاسلام للكهان والأخبار ومن أكبر الحجب عن الوصول إلى الله تعلق الصور بعضها ببعض .

(٣) وهذه إشارة أخرى بل كرامة كبرى لحجة الاسلام رضي

الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى « وآتيناهم من لدنا علماً » وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل باللذوق لم تحصل بالتعليم ، والواجب التصديق بها حتى لا تحرم شعاع سعادتهم وهو

== الله عنه حيث كشف الله له عن مآل التصوف بعد عصره رضى الله عنه حيث أصبح عبارة عن حلقات يتعلم فيها المرید قوانین التصوف عن بعض الشيوخ ويعيش المرید حياته كما كفا على التلبذة للشيخ وقد يكون الشيخ من العارفين فيمتدى المرید إلى طريق الاستقامة على يديه ولكن التصوف الذى ألف فيه الغزالي أحياءه ورسائله ليس هو هذا إنما تصوفه الذى انتهى به رضى الله عنه إلى الاطلاع على الملكوت من ملائكة وأنبياء ولوح وقلم .

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخير وهذا التصوف لأصحاب الهمم العالية من أمثال الغزالي منهله النبوة مباشرة من غير توسط الشيوخ الذين أن انتفع بهم العوام فلن يصل الخواص إلى مطلوبهم على أيديهم نعم قد يصل بعض المریدین على يد بعض الشيوخ كوصول أبي العباس المرسي على يد الشاذلي وبالتأمل فيما وصل إليه أبو العباس نجده قال « لو حجب عنى رسول الله طرفه عين ما عدت نفسى من الموحدين » فكانت مشيخة الشاذلي لأبي العباس مشيخة التوجيه كما كان نظام التصوف فى عهد الجنيد والقرون من بعده إلى الغزالي يأخذ المرید الإشارة من الشيخ ثم يسبح مع الله وقد لا يلتقى بصاحب إشارته صرح بهذا المعنى عبد العزيز الدباغ لتلميذه ابن المبارك .

من عجائب القلب ، ومن يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » وقوله « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » .

(فصل) ولا تحسب أن هذا خاص بالأنبياء والأولياء ، لأن جوهر ابن آدم في أصل الخلقة موضوع لها كالخديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم ، إلا الذي صدأ فيحتاج إلى إجلاء أو جذب فيحتاج إلى حقل أو سبك ، لأنه قد تلف وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة وإن لم تغلب عليه تلك الدرجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على فطرة الاسلام ، وقال الله تعالى « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ، وكذلك بنو آدم في فطرتهم التصديق بالربوبية كما قال سبحانه وتعالى « فطرة الله التي فطر الناس » والأنبياء والأولياء هم بنو آدم قال سبحانه وتعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم ، فكل من زرع حصد ومن مشى وصل ومن طلب وجد (١) ، والطلب

(١) يشير رضى الله عنه إلى أن من سار على نهج القوم فلن يحرم من شراهم فليس المقصود أن تفكر في السير لتصير مثل الغزالي أو مثل المرعي لأن هذا الخاطر من عوائق الفتوح عندهم بل أعبد الله لا للفتوح ولا للوصول بل اجلس في خلوتك ممسكا بيدك مسبحة الجنيد مستحضرا النبي صلى الله عليه وسلم فانك تشمر بالانس بالله وهذا أكبر سعادة أن من جلس مع الملوك لا يحرم من عطايام . إنفرد بالله لا يكن همك رؤية الأولياء

لا يحصل إلا بالمجاهدة ، وطلب شيخ بالغ عارف قد مشى في هذا الطريق
وإذا حصل هذان الشيطان لأحد فقد أراد الله التوفيق والسعادة ، بحكم
أزلى حتى يبلغ إلى هذه الدرجة .

(فصل) إن اللذة والسعادة لابن آدم معرفة الله سبحانه وتعالى
إعلم أن سعادة كل شيء لذته وراحته ، ولذة كل شيء تكون بمقتضى
طبعه ، وطبع كل شيء ما خلق له ، فلذة العين في الصور الحسنة ولذة
الأذن في الأصوات الطيبة وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ، ولذة
القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى ، لأنه مخلوق لها ، وكل ما لم يعرفه
ابن آدم إذا عرفه فرح به مثل الشطرنج إذا عرفها فرح بها ، ولو نهى عنها
لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر ، وكذلك إذا وقع في معرفة الله سبحانه
وتعالى فرح بها ولم يصبر عن المشاهدة ، لأن لذة القلب المعرفة ، وكلما كانت
المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر — ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير
فرح ، ولو علم الملك لكان أعظم فرحاً ، وليس موجود أشرف من الله
سبحانه وتعالى لأن شرف كل موجود به منه ، وكل عجائب العالم آثار
صنعتة ، فلا معرفة أعز معرفته ، ولا لذة أعظم من لذة معرفته ، وليس
منظر أحسن من منظر حضرته ، وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس
وهي تبطل بالموت ، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب ، فلا تبطل بالموت
= والشيخ حتى لا تعطلك هذه الصور الروحية عن المتعة بمحبوبك فقد
تلتقي بولي تراه تحببك رؤياه عن محبوبك سنين سر على طريقة الغزالي الذي
اختلى عشر سنين بمثدنة دمشق فلم يخرج منها إلا بمحبوبه .

لأن القلب لا يهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوؤه أكبر لأنه
خرج من الظلمة إلى الضوء .

(فصل) واعلم أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم ، وفيها من كل
صورة في العالم أثر منه ، لأن هذه العظام كالجبال ، ولحمه كالتراب ، وشعره
كالنبات ، ورأسه مثل السماء ، وحواسه مثل الكواكب ، وتفصيل ذلك
طويل ، وأيضا فان باطنه صناع العالم ، لأن القوة التي في المعدة كالطباخ
والتي في الكبد كالخباز ، والتي في الأمعاء كالقصار (١) ، والتي تبيض اللبن
وتحمر الدم كالصباغ وشرح ذلك طويل ، والمقصود أن تعلم كم في باطنك
من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك ، وأنت في غفلة عنهم ، وهم
لا يستريحون ، ولا تعرفهم أنت ولا تشكر من أنعم عليك بهم .

(فصل) في معرفة تركيب الجسد ومنافع الأعضاء التي يقال عنها في
علم التشريح وهو علم عظيم ، والخلق غافلون عنه ، وكذلك علم الطب ،
فكل من أراد أن ينظر في نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج إلى

(١) إنما تكمل هذه اللذة بتوبة كاملة من الصفائر والكبائر وشيء من
المجاهدات كصوم الأيام الفاضلة والتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
واتباع سنته بقدر الامكان ، لأن النبوة بحر لا ساحل له واستيعاب سنته عليه
السلام صعب إلا على من اصطفاها الحق وجردوا من الماديات ، والاختلاء
بغار حراء التوحيد حتى تفجأ بالنور الأكل على يد جبريل الهامك فطريق
السير عبده الأنبياء وبينه الصديقون ونهيج عليه الموفقون .

معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الالهية ، الأولى أن يعرف أن خالق هذا الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى ، وليس عمل في العالم بأعجب من خلق الانسان من ماء مهين ، وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » فاعادته بعد الموت أهون عليه لأن الاعادة أسهل من الابتداء ، الثانية معرفة علمه سبحانه وتعالى وأنه محيط بالأشياء كلها لأن هذه العجائب والغرائب لا يمكن إلا بكمال العلم ، الثالثة أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالأشياء كلها ، وأنها لانهاية لها لما ترى في النبات والحيوان والمعادن من سعة القدره وحسن الصور والألوان .

(فصل) في تفصيل خلقه بنى آدم لأنها مفتاح معرفة الصفات الالهية وهو علم شريف ، وذلك معرفة عجائب الصنائع الالهية ، ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته ، وهو مختصر معرفة القلب ، وهو علم شريف إذ هو معرفة الصنائع الالهية لأن النفس كالفرس ، والقلب كالراكب ، وجماعهما الفارس ، ومن لم يعرف نفسه وهو يدعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذي ليس له طعام لنفسه وهو يدعى أنه يقوت قراء المدينة فهذا محال .

(فصل) إذا عرفت هذا العز والشرف ، والكمال والجمال والجلال بعد أن عرفت جوهر القلب وأنه جوهر عزيز قدير وهب لك وبعد ذلك خفي عنك ، فإن لم تطلبه وغفلت عنه وضيعته كأن ذلك حسرة عظيمة عليك

يوم القيامة فاجتهد في طلبه ، و اترك أشغال الدنيا كلها (١) ، وكل شرف لم يظهر في الدنيا فهو في الآخرة فرح بلاغم ، وبقاء بلا فناء ، وقدرة بلا عجز ومعرفة بلا جهل ، وجمال وجلال عظيمان ، وأما اليوم فليس شيء أعجز منه لأنه مسكين ناقص ، وإنما الشرف غداً إذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم ، ويبلغ درجة انلاثة ، فان رجع إلى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة لأنهم يصيرون إلى التراب ، ويبقى هو في العذاب ، نعوذ بالله من ذلك ، ونستجير به ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) اتركها بقلبك لا أن تتركها بابطال عملك و تعطيل مقومات حياتك ليس التصوف أن تترك الدنيا وتجلس في جبل بل انزل إلى ميدان الحياة متصوفاً بأن تفرد قلبك ففلا تشغنه بالصور والمغريات والشهوات تصوف في درك أيها الأستاذ وتصوف أيها العامل في عملك وتصوف أيها التاجر في متجرك كن كالعاشق المشغول قلبه بمحبوبه بينما هو يمارس جميع أعماله الدنيوية أن الحب مركزه القلب والتصوف يدور على حب الله ورسوله والتعلق بهما والهيام فيهما .

تمت

لَقَوْلِ الْعَمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموفق الذي وفق قلوب الاحباب ، لمواقفة مراسم السنة (١) وأحكام الكتاب الفتح الذي فتح بصار أبصارهم فأبصروا مواقع نبال الارتياح في مقاتل أهل الحجاب الملمهم الذي ألهمهم الحجة البيضاء بالحجة الخضراء فأصابوا أبقار الصواب ناداهم بلسان شأن المحبة من جناز المودة

(١) لن أمل من تنبيه طلاب التصوف العالی أو تصوف الخصوص الذي رسم الغزالي حدوده ومعالجه إلى الدعائم العملية التي بنى عليها الغزالي تصوفه العالی فوصل به إلى القمة في هذا الشأن وهنا يشير إلى الدعامة الأولى وهي الكتاب والسنة والارتواء من وردهما الصافي بلا واسطة بمطالعة كتب السنة والعمل بما فيها وتفهم الكتاب وما فيه من الأوامر والعظات ثم غذاء الروح من ذات النبي صلى الله عليه وسلم كما يتغذى النبات وينمو من أشعة الشمس

كيف ينام المحب عن مشاهدة الأحباب فأكلوا نواظرهم بأمد السهاد (١)
 وجفوا من مضاجعهم أطيب الرقاد وجدوا في أثر الاطلاع مع الطلاب
 وجعلوا نهارهم ليلا وأفراحهم ويلا وأرخوا لعز مولاهم ذيلا وتذللوا
 على الاعتاب فأقامهم في الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيهم
 فبإسعادتهم بتوفيقهم لوقوفهم على الأبواب وكشف لهم الحجاب عن
 جماله وكشط الضباب عن محاسن أبواب مقاله ، فردوا حيارى بمحاسن
 الأتراب أجروا مدامعهم جريان الأهار وأبدوا فجعهم عن زمن تولى
 من جر الأزار على الأوزار وطرقوا الباب فأتاهم الجواب يا عبادى أنا
 التواب على من أقلع عن الحوبة وإلى أناب روق لهم فى دار الوصال
 شراب الاتصال فذاهيك به من شراب فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن
 حضورهم فى حضراته (٢) وغدا كل بعقله مصاب فأين المهاجر فى الهواجر
 ومن أكل المهاجر بالخناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب .

قد كشف المولى منبع الحجاب وأسمع الأحباب طيب الخطاب
 واحضروا حضرة أنس بها غابوا فعاشوا بعد موت العقاب

(١) يشير رضى الله عنه إلى ركن عظيم من أركان التصوف لا يحتاج
 أيضا إلى واسطة وهو قيام الليل بقدر الامكان ، يا أيها المزمع فى الليل
 إلا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه .

(٢) يشير رضى الله عنه إلى أن المرید يدرج نفسه فى مدارج الحب
 فانه إذا واظب على الذكر بالمسبحة الصوفية وتذكر الحق وتسامى نفسه
 مع المذكور فقد أوشك أن يشرف على عتبة التوحيد .

وفي مقام القرب أذناهم
 وانحفوا من فضله بالوفاء
 لهم الملوك الشم من خلقه
 قد تبعوا نهج سبيل الهدى
 واستمسكوا بسنة خير الورى
 وناقشوا أنفسهم خيفة
 إذا أتى الليل تراهم به
 يحيونه بالذكر كى يحيهم
 يراهم الحق بباهى بهم
 عليهم منى سلام مما

لما استقام فى المقام الشراب (١)
 محضا من الامن أمن العتاب
 ضنائن الحق لعز الحجاب
 واتبعوا حكم نصوص الكتاب
 وحاسبوا من قبل يوم الحساب
 من غضب الحق وهول العقاب
 فرحى لجمع الفرق تحت النقاب
 بذكره فى جمع أهمل الثواب
 بهم عن الخلق يزول العذاب
 مالمع البرق وهل السحاب (٢)

أحمده حمداً أستوجب به الثواب وأشكره شكراً تزيد به زيادات
 أولى الألباب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزفه
 عن الحلول والانحياز والظهور والبطون والابتداء وانتهاء والاشتهار
 والاحتجاب وتقدست ذاته المقدسة عن مقالات أولى الجملات من الكم

(١) ليس الشراب الذى يتحدث عنه الصوفية أمراً مجازياً بل هى أنوار
 حسية من أنوار الذكر تدخل حلوقهم وأجسامهم تغذى منه أرواحهم
 فاختل فى جنح الليل وناج محبوبك كأنك تراه تشرب من شرابهم وما
 عليك إلا أن تجرب هذا الشراب .

(٢) هذا النظم ليس من روح كلام الامام العزالى بل هو دخيل على
 وسائله كما يظهر .

والكيفية والابن والمكان والزمان والاياب والذهاب ، وأمجده بما أبرزه
بمحكمته من الأكوان عن التفكير والتدبير والمعاونة والمشاورة والراحة
والنصب والانتصاب وأعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل
والتبديل والتركيب والارتكاب وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله
أشرف محبوب وأعظم الأشراف وأخص الأحياء أرسله بفضل
الكتاب وفصل الخطاب وأيده بأفضل كتاب وأجمل خطاب أفصح
الأعراب بالإعراب والاختصار والأسهاب وأعجز بلغاء الأحزاب بيدائع
النفي والإيجاب فأنقذ الأحياء من مهاوى الارتياح ومغاوى الأعراب
وأعقب الأعراب بالعقاب على الأعتاب وكشف عن وجه نور الإسلام
مكفرات ظلمات الأشراك والضباب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
والأحباب وعلى الخلفاء الراشدين الأقطاب أبي بكر وأبي حفص عمر
وعثمان أبي تراب صلاة تحلنا دار النعيم وتخرجنا عن دار العذاب .

أما بعد : نفحننا الله وإياك بنفسائنا قربه وسقانا وإياك من كاسات حبه
فان بيان كيفية طريقنا وبرهان أصل تحقيقنا مبنى على عشرة قواعد توظف
الذائم وتقيم القاعد .

(القاعدة الأولى) النية الصادقة (١) الواقعة من غير التواء لقوله

(١) هذا هو الركن الأول من أركان الطريقة وهي الاتجاه الصادق
لبلوغ المألوب والتصميم الأكيد على السير في الطريق وعدم المبالاة بما
يعترضك من عقبات ولا بد من هذه العقبات تقام درنك لمتحكك محو بك
هل أنت من طلاب المحبة حقيقة أم أنت مدع كذاب والطريقة العملية =

عليه الصلاة والسلام — وإنما لكل امرئ ما نوى — والمراد بالنية عزم القلب وبالصادقة إنهاؤها للفعل والترك وبالواقعة استمرارها على هذه الخلة الاثيرة لان التكرار تأثيراً ليس لغيره وعلامتها عدم تغيير جزمه بأعراض فانية وبقية في عزمه فان العمل للحق فلا يترك ما عزم عليه للخلق .

(القاعدة الثانية) العمل لله من غير شريك ولا اشتراك (١) لقوله عليه السلام «أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» وعلامته أن لا يرضى بغير الحق ويرى ما سواه قاطعاً فيجذب الخلق لقول النبي المختار «تسجدوا للدينار» وليترك له سبحانه وتعالى جميع أمانيه لقوله عليه السلام «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» وأكدها الشبهات فاحذرهما

== لنحقيق هذا الركن قراءة أخبار المحبين في كتب التصوف القديمة كرسالة الفشيري والحلية لأبي نعمان وطبقات الأولياء وأخبارهم ومن هذه القراءات وأدماها توجد الرغبة أولاً في سلوك طريق القوم وبدون الشوق إلى بلوغ هذه المنازل لا توجد نية السير .

(١) الواقع أن الاخلاص ليس أمراً مكتسباً بل هو في حديث الشهر وردى بهامش الاحياء سر من أسرار الله يهب لمن يشاء وانظر إلى بقية الكلام الذي بناه على الاخلاص تجده غير منسجم مع هذا الأصل .

وايس لهذه الكلمات عذوبة كلام الغزالي وروحانيته فترتيب عدم الرضا بغير الحق وترك جميع الأمانى وترك الشهوات على الاخلاص ترتيب غير منطقي ويغلب على ظني أن هذه الجملة دخيلة لأنها مفككة لا يرتبط بعضها ببعض ومعناها تافه وعلاقتها بالقواعد العشرة التي تشبه أن تكون مبادئ قرآنية لهذه الطريقة ضعيفة .

أن تضيقك لقوله عليه السلام « دع ما يرببك إلى ما لا يربك » فإذ اصحت
 هذه الأصول الثلاثة أثمرت أغصانها لك القربى فتكون بالصورة في الدنيا
 وبالمعنى في العقبى وعلى قدر همك وثباتك على الفعل والترك تحظى من
 الحديث المشهور « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك
 من أهل القبور » وعلامة القناعة لاكتفاء بما يذهب الحر والبرد والمسغبة
 لقوله عليه الصلاة والسلام « حسب ابن آدم لقيات يقمن بها صلبة »
 فلا يميل إلى صاحب القمح صاحب الشعير وإلى النقرة صاحب النقير
 والمستغنى بالحلال لا يقصد المباح ولا ينخفض إلى الشبهة الجناح وعلامة
 الغريب الحمل الخفيف وعدم الائتلاف بالثقل وترك السؤال فانه يؤدي
 إلى ظل الدخيل وعلامة عابر السبيل إمراع الاجابة ورضاه بما سبق إليه
 واستطابه وعلامة الميت إظهار مهمات دينه والمسألة في غوالب حينه .
 (القاعدة الثالثة) موافقة الحق بالاتفاق والوافق (١) ومخالفة النفس

(١) معنى موافقة الحق بالاتفاق أن يكون هواه تبعاً لما جاءت به الشريعة
 وعدم معاناة الأمور والسير مع مراد الله وما ذكره في هذه القاعدة كله
 فهي آثار وأحوال ونتائج أعمال أما أصول الطريق فهي كما ذكرت في
 كتب الصوفية ثلاثة عشر ، التوبة والخوف والرجاء والحزن والقناعة
 والزهد والورع والتوكل والصبر والشكر وجهاد النفس والرضا بالقضاء
 وترك العباد أي ترك الالتفات لأحوالهم ولو مع الخلطة بهم ليحصل التغير
 بينه وبين العزلة التي هي ركن من الأركان الأربعة لمجموعة في قول بعضهم .
 بيت لولاية قسمت أركانه ساداتنا فيسه من الأبدال
 ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر الزيه الغالي

بالصبر على الفراق والمشاق وترك الهوى وجفاء الملاذ والمكث والخللاف
ومن تَعُودُهُ خَرَجَ عَنِ الْحِجَابِ وَدَخَلَ فِي الْإِنْكَشَافِ فَعَادَ نَوْمَهُ سَهْرًا
وَإِخْتِلَاطَهُ عَزَلَةً وَشِبَعَهُ جَوْعًا وَعَزَّتْهُ ذَلَّةٌ وَمَكَامَلَتْهُ صَمَاتًا وَكَثُرَتْهُ قَلْبَةٌ .

(القاعدة الرابعة) العمل بالاتباع لا الابتداع لئلا يكون صاحب
هوى ولا يزهو برأيه زهواً فإنه لا يفلح من اتخذ لنفسه في فعله ولياً بقوله
عليه السلام « عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشياً » .

(القاعدة الخامسة) الهمة العلية المجردة عن تسويق يفسدك فقد
جاء لا تترك عمل يومك لفدك لأن بعض الأعمال من بعض وإلا فمن
رضى بالأدنى حرم الأعلى والكامل المتبع هو السنن لا المتشيع والمنزل
والمبتدع لقوله عليه السلام « يا أحبائي عليكم بالسواد الأعظم » قالوا
يا رسول الله وما السواد الأعظم قال « ما أنا عليه وأصحابي »

(القاعدة السادسة) العجز والذلة لا يعنى الكسل في الطاعات وترك
الاجتهاد بل عجزك عن فعل إلا بقدره الحق الجواد وأن ترى الخلق بعين
التوقير والاحترام فإن بعضهم وسائط بعض إجلالا لحضرة ذي الجلال
والإكرام لأن سنة الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً ما أضافه إليه بنى
الوسائط وإن أراد جلال حضرته تعظيماً أضافه لغيره رعاية للضوابط
فاذا علمت أن الكل بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع إليه ، وتكبرت عليه
إلا بأمر وصل إليك من لده فاجعل عجزك في جنبه ومسكنتك له
بالاعتذار ولا تتصور قدرة لك فلها منازعة في الاقتدار .

(القاعدة السابعة) الخوف والرجاء معنى ، وعدم الاطمئنان بجلال الاحسان إلا عند الميانه فحسن ظنك منك بالجواد الحسان .

(القاعدة الثامنة) دوام الورد (١) أما في حق الحق أو حق العباد ، فان من ليس له ورد فماله من الموارد أمداد فالديم يعمل والحق يعمل بملاله

(١) هذا من أهم أركان التصوف وقد كانت طريقة الجنيد وهو استاذ هذه الطريقة الذكر الدائم والصوم الدائم والطهارة الدائمة أما الصوم الدائم والطهارة الدائمة فملومان وأما الذكر الدائم فالصوفية يفضلون الذكر بالاسم المفرد وقد صرح الغزالي بأنه وصل بذكر الاسم الأعظم ، الله ، ومع هذا فمباشرة الطريق ذكروا باسماء أخر كان سيدي عبد الكريم الجبلي من اقداد هذه الطريقة وقد رتب لنفسه وأتباعه الذكر بثلاثة عشر اسماً كل اسم يذكر مائة ألف مرة وهي هذه . لا إله إلا الله . الله هو . حي . واحد . عزيز . ودود . حق قهار . قيوم . وهاب . مهيمن : باسط . وقد رأيت بمص كتب أتباع السيد أحمد الرفاعي أنهم يذكرون بهذه الاسماء وطوائف الخلواتية تذكر بأغلب هذه الاسماء وكثير من رجال الطريقة البيومية يذكرون بهذه الاسماء الثلاثة عشر وليس هذا معنى أن الصوفية ليس لهم أورد إلا هذه الاسماء بل باب الأذكار النبوية وتلاوة القرآن مفتوح على مصراعيه لطلاب الآخرة لا يحتاج إلى أذن الشيوخ كما تفهم والعوام والذكر بغير الثلاثة عشر مستحب بالكتاب والسنة ولكن شيوخ هذه الطريق قد أخذوا بهذه الاسماء بالهام الإلهي والأوامر الروحية والساترون الصادقون في هذا الطريق يؤمرون بذكر مخصوص كل بما يناسب حاله فلكل اسم خواصه ونجلياته التي تختلف باختلاف حال السائر وعلى المرید في إبتداء أمره أن يذكر بالاسماء التي ذكر بها أئمة هذه الشأن إلى أن يفتح الله فيومر بالأذكار التي تناسبه .

بمخلاف الذي يفيت بأعماله وأقواله فان النفس تنبسط بذلك جهراً وضمراً
وتراعى حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً وشرأ فيحب ويبغض لهم
ما يحب ويبغض لنفسه خيراً وشرأ ويعمل لله تعالى ما يرضى كما يجب أن
يفعل الله به ما يرضى .

(القاعدة التاسعة) المداومة على المراقبة ولا يغيب عن الله سبحانه
وتعالى طرفه عين ، فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه وتعالى ونفى غير
الله وجد الله وإحسانه وعلم اليقين يحصل ذلك لك بجملة وهو أن ترى
الحركات والسكنات والأعيان بتحركه وتسكينه وقدرته سبحانه لا يستغنى
عنه شيء ثم تزيد مراقبته (١) إلى أن ترقى إلى عين اليقين ثم يقنى عن ذلك

(١) هذا الركن في نظري هو أهم أركان هذا الطريق والمراقبة المطلوبة
في طريق الصوفية نوعان مراقبة الحق سبحانه ومراقبة المشرف الروحي
على القلب السائر أما مراقبة الحق سبحانه فالمقصود منها عند الصوفية مناجاة
الحق سبحانه بأسمائه وصفاته كأنك تراه ويقول الصوفية في كتبهم أن
هذه المراقبة عندهم هي مبدأ السير في ركب المحبين وأما مراقبة المشرف
الروحي فهي ملاحظة رفيق القلب الروحي ويعبر عنه في كتب التصوف
بالشيخ فملاحظة الشيخ عندهم ضرورية للسير في هذا الطريق الذي تقف
فيه الخواطر الشيطانية سداً منيعاً وبما لا ريب فيه أن الخواطر الشيطانية
التي تعرض المرید في مبدأ الطريق تحتاج لمطاردة عنيفة وروحانية المرید
في مبدأ الطريق قد لا تستطيع القيام بحمل الكفاح في هذه المعركة وحدها
فلا بد من رفيق روجي في السير وكلما كانت روح هذا الرفيق نفاذة =

به وذلك حقيقة اليقين فيقول ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه سبحانه
وتعالى هو اقيوم على كل شيء بقيوميته وذلك الشيء هو القائم بأمره
وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة فتأدب مع الخلق وعشر أحسن

= فعالة في عالم الأرواح كلها استراح المرید في سيره وتجلي عليه الحق
بتجلي الروح المرافق وقد تحقق عندي بالوجدان الصحيح بعد تجاربي
واجتماع بصوفية عصرى من أكابر العارفين أن مرافقه روح النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا الطريق أكبر معوان على اجتياز عقبات هذا الطريق أما
قول متأخرى الصرفية أن الشيخ موصل للنبي صلى الله عليه وسلم فهذا
الكلام إن كان معناه أن عوام السائرين الذين لم يدرسوا ، السنة ولم يتذوقوا
الاقتداء به صلى الله عليه وسلم لا يتوصلون إلى الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم إلا عن طريق محاكاة شيوخهم فهذا أمر مسلم وهو ما في طائفة عوام
السائرين في هذا الطريق وإن كان معناه أن روحانية المرید يشيخه توصله
إلى الاستعداد من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة فهذا أمر غير مسلم بل
أن روحانية المرید بالشيخ حجاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يعيش
مثل هذا المرید منظوبا في شيخة إلى الأبد والتزواج الروحي يعسر منه
الفكك وإذا يحسن أن يتجه المرید مباشرة خصوصا إن كان من أهل العلم
والمعرفة إلى التزواج بروح النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة كما فعل الغزالي
وأمثاله فاذا ضمنت التزواج بروح النبي صلى الله عليه وسلم إلى مبادئ
الجنيد الثلاثة تصير الأركان أربعة .

الذكر الدائم . الطهارة الدائمة . الصوم الدائم ، المراقبة بقسمها على
الدوام .

المعاشرة قال عليه الصلاة والسلام « أدبني ربي فأحسن تأديبي »

(القاعدة العاشرة) علم يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهاداً لأن من ظن أنه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معادا لقوله سبحانه لا رب سواه « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فهذا ما بنيت على أعمدة قواعده قصورا من غير قصور ، وأسست عليه شوامخ الحجارة لرباب الحبور ، وحرثته بحراث فدن وبذرته بصنوف حبوب السعادة وغرست في فراذه مفاصل الأذكار وأجريت في جفاته من الأوراد والأهار وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة ومهدته بمحاثق حقائق المكابدة راجيا حصاد زرعي ، يناجل الهمم وقاصدا غنيمة إنفاق من مواهب الكرم ، والله تعالى يزكيه ويرببه ويرتفع فيه من ظهر فيه ومن التحق به ممن يحببه إنه الجواد الكريم البر الرحيم والسلام على من اتبع الهدى فما ابتدع ونفع وانتفع ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه المفلحين ورحمته وبركاته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار المعارف وضر أسرار العوارف وعلى آله وصحبه وتابعي سبيله وحزبه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتعم البركات . « آمين » .

(تمت)

الأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلقنا فأكمل خلقنا ، وأدبنا فأحسن تأديبنا ، وشرفنا
بفضله محمد صلى الله عليه وسلم فأحسن تشریفنا ، ثم أقول وبالله التوفيق إن
أكمل الأخلاق وأعلاها ، وأحسن الأفعال وأبهاها ، هو الأدب في الدين
وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين ، وأخلاق النبيين والمرسلين ،
وقد أدبنا الله تعالى في القرآن بما أرانا فيه من البيان وأدبنا بفضله محمد
صلى الله عليه وسلم في السنة بما أوجب علينا فله المنة ، وكذلك بالصحابة
والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من
الاعتداء بهم ، وذلك جليل خطره ، كثير عدده ، نذكر بعضه لئلا يطول
شرحه فيعسر فهمه .

آداب

أدب المؤمن بين يدي (١) الله تعالى - إطراق الطرف وجمع الهم

(١) المراد منه إذا كان العبد في مجلس ذكر أو في الصلاة وفي الحقيقة

ودوام الصمت ، وسكون الجوارح . ومبادرة امتثال الأوامر ،
 واجتناب المناهي ، وقلة الاعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ،
 وتنزيه الفكر وتقييد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم الرب ، وقلة
 الغضب ، وكتمان الحب ، ودوام الإخلاص ، وترك النظر إلى الأشخاص
 وإيثار الحق ، والياس من جميع الخلق ، وإخلاص العمل ، وصدق
 القول ، وتنزيه (١) الاطلاع ، وإحياء القربات ، وقلة الإشارة ، وكتمان
 الفائدة (٢) ، والغيرة على تبديل الاسم ، والغضب عند انتهاك المحرم ،
 ودوام الهيبة (٣) ، واستشعار الحياء ، واستعمال الخوف والسكون
 ثقة بالضمآن ، والتوكل معرفة بحسن الاختيار ، وإسباغ الوضوء على
 المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وارتعاش القلب خوف
 فوت الفرص ، ودوام التوبة (٤) خوف الإصرار ، ودوام التصديق

معظم الآداب التي سيذكرها أمام التصوف الأوحده - آثار وتناج
 للتصوف القلبي ولذا فتكف هذه الآداب غير مجد إلا ما كان منها عملياً فجمع
 لهم مثلاً عمل قلبي نتيجة لا ستغراق القلب في المراقبة وهكذا الشأن في
 دوام الإخلاص وكتمان الحب .

(١) لعل المراد الرضا بجميع أفعال الله واعتقاد الحكمة فيها تقع عليه
 البصيرة .

(٢) لعل المراد عدم افشاء سر المحبوب كما هو دستور المحبة .

(٣) أي ملاحظة جلال الحق في جميع الحركات .

(٤) في الواقع دوام التوبة ركن الاستقامة بل هو الدعامة التي تقوم
 عليها جميع الأخلاق والأعمال فان حصل منه ذنب استغفر بلسانه وقلبه سئل

بما غاب ، ووجل القلب عند الذكر ، وزيادة الأنوار عند الوعظ ،
واستشعار التوكل عند الفاقة ، وإخراج الصدقة من غير بخل
من الإمكان .

آداب العالم - لزوم العلم والعمل به ، ودوام الوفاق ، ومنع التكبر
وترك الدعاء به ، والرفق بالمتعلم ، والتأني بالمتعجرف ، وإصلاح
المسألة للبليد ، وترك الأنفة من قول لا أدري ، وتكون همته عند
السؤال خلاصه من السائل لإخلاص السائل ، وترك التكاف ، واستماع
الحجة والقبول لها وإن كانت من الخصم .

آداب المتعلم مع العالم - يبدؤه بالسلام ، ويقل بين يديه الكلام ،
ويقوم له إذا قام ، ولا يقول له قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يسأل
جليسه في مجلسه ، ولا يبتسم عند مخاطبته ، ولا يشير عليه بخلاف
رأيه ، ولا يأخذ بشوبه إذا قام ، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى
يبلغ إلى منزله ، ولا يكثر عليه عند مله .

آداب المقرئ - يجلس جلسة الخشية ، واستماع الأمر ، وإنصات
الفهم ، وانتظار الرحمة ، والإصغاء إلى المشابه ، وإشارة الوقف
وتعريف الابتداء ، وبيان الهمزة ، وتعليم العدد ، وتجويد الحرف ،

== سهل بن عبد الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار
الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة
أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من
تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر .

وقائدة الخاتم، والرفق بالمبادئ، والسؤال عن المتعلم إذا غاب،
والحث له إذا حضر، وترك الحديث، ويبدأ المتلقن بقلته ما يصل
لنفسه أو إذا احتاج إلى أن يؤم غيره (١).

آداب القارىء - يجلس بين يديه جلسة التواضع؛ وجمع القوم
وخفض الرأس، والاستئذان قبل القراءة، ثم الاستعاذة والتسمية،
والدعاء عند الفراغ.

آداب معلم الصبيان - يبدأ بصلاح نفسه، فإن أعينهم إليه ناظرة،
وآذانهم إليه مصغية، فما استحسنته فهو عندهم الحسن، وما استقبحت
فهو القبيح ويلزم الصمت في جلسته، والشزر في نظره؛ ويكون معظم
تأديبه بالرهبة، ولا يكثر الضرب والتعذيب. ولا يحادثهم فيجترئون
عليه ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه، ولا يمازح بين أيديهم

(١) ومن أم الآداب أن يكون التعليم لله فلا يأخذ عليه أجراً ومعنى
الاصغاء إلى المتشابه أى لفت نظر القارىء إلى ما فى القرآن من متشابه
نحو يد الله فوق أيديهم، فيفهم القارىء أن هذا مما استأثر الله بعلمه
فلا يبحث فيه بل يقول د كل من عند ربنا، وقائدة الخاتم أى إرشاد
القارىء إلى فوائد الختم وما فيه من استجابة الدعاء وعلى المعلم أن يحى
سنة الاسناد فيجيز تلاميذه بما يقرءون عليه ولو بعض المصحف كما هى
سنة السلف واعلم أن تجويد الحروف وإعطاء ما حقها ومستحقها
وإخراجها من مخارجها بصفاتهما فرض وبدون هذا يكون القرآن محرقة
عن مواضعه حرام تلاوته والصلاة به آثم صاحبها يجب عليه إعادتها مادام
الوقت باقياً للنقص الذى فيها بسبب القراءة المحرمة لعدم التجويد.

أحدًا ، ويتنزه عما يعطونه ، ويتورع عما بين يديه يطر حونه ، ويمنعهم من التحريش ، ويكفهم من التفتيش ، ويقبح عندهم الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب والنميمة ، ولا يسألهم عن أمر بيوتهم فيستثقلوه ، ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه ، ويعلمهم الطهارة والصلاة ، ويعرفهم ما يلحقهم من النجاسة .

آداب المحدث - يقصد الصدق ، ويتجنب الكذب ، ويحدث بالمشهور ، ويروى عن الثقات ، ويترك المناكير ، ولا يذكر ماجرى بين السلف ، ويعرف الزمان ، ويتحفظ من الذلل والتصحيف واللحن والتحريف ، ويدع المداعبة ، ويقل المشاغبة ، ويشكر النعمة إذا جعل في مقام الرسول ﷺ ، ويلزم التواضع ، ويكون معظم ما يحدث به ما ينتفع به المسلمون من فرائضهم وسننهم وآدابهم من معاني كتاب ربهم عز وجل ، ولا يحمل علمه إلى الوزراء ، ولا يفشى (١) . أبواب الأمراء فإن ذلك يزرى بالعلماء ، ويذهب بهاء علمهم إذا حملوه إلى ملوكهم ومياسيرهم ، ولا يحدث بما لا يعلمه في أصله ولا يقرأ عليهم

(١) قد تحقق ما أخبر به الغزالي من ذهاب بهاء العلم حين وقف بأبواب الملوك والروح الدينية الآن مبهوثة لا عن طريق العلماء بل عن طريق قوة الدين الكامنة في فطر المسلمين وطبائعهم الموروثة والذي يصيب المسلمين من العلماء الآن هو تشويش هذه الفطر بأراء فطيرة كالأبحاث في التوسل والوسيلة وتكفير المسلمين الذين يزورون الأوامياء ويتبركون بهم وكذب النصوف والمتصوفين .

مالا يراه في كتابه ، ولا يتحدث إذا قرىء عليه ، ويحذر أن يدخل حديثاً في حديث .

آداب طالب الحديث - يكتب المشهور ، ولا يكتب الغريب ، ولا يكتب المغنا كير (۱) ، ويكتب عن الثقات ، ولا تغلبه شهرة الحديث للسمع ، ويلزم الصمت بين يدي محدثه ، ويكثر التلفت عند إصلاح نسخته ، ولا يقول سمعت وهو ما سمع ، ولا ينشره لطلب العلو فيكتب من غير ثقة ، ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين ، ولا يكتب عن لا يعرف الحديث من الصالحين .

آداب الكاتب - حسن الخط ، وجودة البرى ، وإعراب اللفظ ، ومعرفة الحساب ، وسداد الرأي ، وحسن اللباس ، وطيب الرائحة ، والمعرفة بأخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين ، والتخوف من المصادر ، والعلم بأمر الخراج ، والمساحة والخبرة في الموادات ، وترك الانحرام (۲) ، والتزهد عن الحرام ، واستعمال المروءة ، وحسن

(۱) الحديث المشهور ما أول إسناده فرد ثم تعددت طرقه فيما بعد الصحابي الأول كحديث إنما الأعمال بالنيات طرأت له الشهرة من عند يحيى بن سعيد والحديث الغريب ما انفرد الراوى بروايته والمنكر الذى لا يعرف متنه من غير جهة راويه .

(۲) لعل المراد التبصر في الأمور حتى لا تاتى على خلاف نظام الدولة =

العشرة ، والتحفظ عن الذلة ، وترك الرفق في المجالس ، ونفي المداعبة والمحادثة والمداراة للحاشية .

آداب الواعظ - ترك التكبر ، ودوام الحياء من سيده (۱) وإظهار الفاقة إلى خالقه ، وشهوة المنفعة لمستمعه ، والإضرار على نفسه لمعرفة عيبه ، والنظر إلى المستمعين إليه بعين السلامة ، وحسن الظن بهم بباطن الديابة ، والإيثار منهم طلباً للصيانة ، والرفق بالتأديب ، والعطف في المبتدئ ، واعتقاد فعل ما يقول لينتفع الناس بما يقول .

آداب المستمع - إظهار الخشوع ، ودوام الخضوع (۲) ، وسلامة للصور ، وحسن الظن ، واعتقاد القول ، ودوام السكوت ، وقلة التقلب وجمع الهم ، وترك النهمة .

آداب الناسك - يكون وقته معلوماً ، وورده منتهوماً ، وكلامه

== وتشبه وظيفة الكاتب في العصور الوسطى نظام السكرتير ، في عصرنا هذا

(۱) فيلاحظ أنه قد يعظ الناس وهو شر منهم فيتصاغر في نفسه فيعظم عند ربه رؤى أحد الوعاظ بعد موته فسئل ما قول الله بك فقال أو قفني بين يديه وقال أنت الذي تعظ الناس ولا تعظ نفسك فقالت لكفى يا مولاي كنت أبداً وعظي وأختمه بالصلاة على نبيك قال فمما عني ،

(۲) أن ضميمته الخشوع إلى الخضوع في هذا المقام ليس من طريق رص الألفاظ فقد رأيت في النوم سيدي أحمد الفرغل فقيلت قدمه وقالت له ياسيدي بم أصل إلى الله فقال بالخشوع والخضوع .

مقسوما ، ودمعه مسجوما ، دائما خشوعه ، لازما خضوعه غاضة
 لطرفه ، عافا لقلبه ، مفكرا في دينه ، مراقبا لوقته ، مداوما لصومه ،
 ساهرا في ليله ، متورعا في مسكنه ، متقللا في مطعمه ومشربه ، متوقفا
 لنزول أجله ، بجانباً لقرناته ، تاركا لشهواته ، محافظاً على صلواته ،
 عالماً بزيادة حاله ونقصانه ، لا يحتاج إلى علم غيره مع عليه بحاله .

آداب اعتزال الناس - يكون فقيها في دينه ، عارفا بأمر صلواته
 وصيامه وزكاته وحججه ، يعتقد في اعتزالهم دفع شره عنهم ، ويحضر
 الجمع والجماعات ، ويشهد الجنائز ويعود المرضى ، ولا يخوض في
 حديثهم ، ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ، ولا يطمع نفسه في
 نائلهم حتى لا يكون له حاجة إلى جيرانه ؛ تكون أوقاته ثلاثة إما أن
 يصلي ويدرس فيقيم ، أو ينظر في كتبه فيتعلم ، أو ينام فيسلم يده من
 الذكر ، ويكثر الشكر حتى يتم له الأمر ، فإن كان له أهل يتحدث
 معهم ، ويجتهد في خلوته حتى يرى ميزان عزلاته .

آداب الصوفي (١) - قلة الإشارة ، وترك الشطح في العبارة ،

(١) الصوفي على الحقيقة العبد الذي أخرجه الله عن هواه وأصبح
 صورة محمدية أوقاته معمورة بالطاعات وأنفاسه مشغولة في الحضرات لسانه
 رطب بذكر الله لا يجلس مجالس اللغو ولا يعرف بجامع اللغو لا يحيد عن
 السنة التي تأمست عليها الطريقة فقد كان الجنيد المتوفى سنة سبع وتسعين
 ومائتين - يقول وهو سيد هذه الطائفة - الطرق كلها مسدودة إلا
 على من اقتنى أثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم - وقال - من لم =

والتمسك بعلم الشريعة ، ودوام الكد ، واستعمال الجهد ، والاستيعاش

== يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن عملنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقد نبغ في هذه الطريقة أعلام من الأمة المحمدية من النساء والرجال فمنهم من بلغ القمة في المحبة كرابعة ونفيسة ومنهم من بلغ القمة في الحكمة كالغزالي ومنهم من بلغ القمة في العلم كالسيوطي وعطاء الله لا يمكن حصره ومدد النبي صلى الله عليه وسلم لا يحبط عقل بكنهه بركاتهم لا تنكر وأنوارهم أظهر من القمر إلا نور وقد ذكر الغزالي في هذا الفصل أدب الصوفي ولم يذكر مریداً ولا شيخاً فالصوف عند دستور بكنهه يطبق على كل من يريد أن يسلك طريق القوم فالشيخة عنده كما كانت عند متقدمي الصوفية هي الصحبة والصحبة من لوازم الصوفية بها يتلقح الصغير من الكبير في أثناء السير وفي الفتوحات المكية أنه كان لاحد السائرين إلى الله رفيق يصوم النهار ويقوم الليل فقال له رفيقه وكان يجتمع بأبي يزيد البسطامي لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة لرأيت العجب من خالك فقال المرید المجد في الطاعة غاية الجهد لا حاجة لي بأبي يزيد فليس في طاقتي أن أجتهد في الطاعة أكثر من ذلك فقال له صاحبه أن رؤيتك لأبي يزيد مرة خير من عبادتك فأجابته المجتهد إلى ما طلب وانتظرا أبا يزيد ينزل من الجبل الذي يختلج فيه آخر النهار فلما رأى أبا يزيد أغشى عليه فقال أبو يزيد أن صاحبك صادق مع الله وكان يتجلى له الحق على قدر روحه فيطبق فلما رأنا تجلى له الحق على قدرنا فلم يظن فرؤية الرجال تنهض الهمم قال ابن عطاء الله لا تصحب إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله ، وقد تطورت هذه الصحبة التي تشير إليها قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة الكهف والتي كانت في

من الناس وترك الشهرة في اللباس ، وإظهار التجميل ، وإشعار
التوكل ، واختيار الفقر ، ودوام الذكر وكتبات المحبة ، وحسن
العشرة في الصحبة ، والغض عن المردان ، وترك مواخاة الدسوان ،
ودوام درس القرآن .

آداب الشريف - يصون شرفه ، ولا يأكل بنسبه ، ولا يتعدى
بحسبه همته التواضع لربه والخوف من سيده ، ويأخذ الفضل على من
دونه ، ولا يساوي من هو مثله ، يعرف الفضل لأهل العلم وإن كان
مثلهم في العلم أو أعلم ، يلزم أهل الدين من أهل الفقه والقرآن ،
ويهدب أخلاقه ، ويتحفظ في ألفاظه عند غضبه وخطابه ، بكرم
جلساته ، ويواصل إخوانه ، ويصون أقاربه ، ويعين جيرانه ،
ويزين بنفسه أخداً .

== الصدر الأول للتوجيه فقط - إلى تلمذة مئته ينعدم فيها الصغير مع الكبير
ويفقد شخصيته فتكبت روحه لأنها موضوعة في أدنى وهي من العوالم
العلوية فلا تشرق في الكبت ولا تشرح فالمرید لا يتعدى شيخه ولا ينسلخ
من متابعتة يعيش تابعا ويموت تابعا بهذا مات التصوف الحر الطليق من
الرسوم والأوراد مات التصوف الرجل كابن الفارض وابن العربي والحلاج
والغزالي وبقي ما يتحدث عنه الغزالي في الاحياء بانه تصوف من اغتروا
بالزى والهيمه والمنطق فقلدوا الصادقين في آدابهم وأحوالهم الظاهرة في
السمع والرقص والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في
الجيب وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث مع أنهم لم يتعبوا
أنفسهم بالمجاهدات ومرافقة القلب وتطهير الباطن .

آداب النوم - يتطهر قبل النوم ، وينام على يمينه ، ويذكر الله عزوجل حتى يأخذه النوم ، ويدعو إذا استيقظ ، ويحمد الله تعالى .
آداب التهجد - تقليل الغذاء (۱) ونقصان الماء ، وإصلاح النهار

(۱) لا تظن أن المقصود بتقليل الغذاء كنظام الرياضات حتى يصل المرء إلى أن يعيش على ثمرة كما تقرأ ذلك في كتب الصوفية بل المراد أن يكون المرء في تهجده غير ممتليء حتى يشعر بالحشية وإعلم أن الصوفية الذين وصل غذاؤهم إلى ثمرة لم يكن هذا منهم متكلفا بل كان حالاهم لا اختيار لهم فيه أما مثلي ومثلك فان خرج عن السنة ضل وتاه وعدم الغذاء سبب الجنون والهوس أخرج إسماعيل القاضي من حديث أبي قلابة رضي الله عنه قال : و أراد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا وتركوا النساء وترهبوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلبت فيهم المقالة فقال إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع ، الحديث وروى عن ابن عباس في سبب نزول د ياءها الذين آمنوا لا نحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ، قال نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود الكندي وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون الجمحي فتوافقوا أن يجبوا أنفسهم بأن يعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحما ولا دسما وأن يلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتا وأن يسيحوا في الأرض كهيئة

باجتناب الغيبة والكذب واللفو ، وترك المحرمات ، والقيام من النوم

== الرهبان فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرهم فأتى عثمان بن مظعون في منزله فلم يجده فيه ولا إياهم فقال لامرأة عثمان أم حكيم ابنة أبي أمية بن حارثة السلمي : أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه - قالت ما هو يا رسول الله فأخبرها فكرهت أن لا تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهت أن تبدي على زوجها فقالت إن كان أخبرك عثمان فقد صدق فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولي لزوجك وأصحابه إذا رجعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم إني آكل وأشرب وأكل اللحم والدم وأنا وأتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فلما رجع عثمان وأصحابه أخبرتهم إمرأته بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا فما أعجبنا فندروا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قلت فقيم التصوف إذا ؟ قلت إن التصوف الذي لا يضيع الجسم ولا العقل معه والذي يمكن من غير عنق وخرج على رياضة الروح بالذكر في الخلوة بقدر الامكان وحفظ الأنفاس من الضياع مع الناس فإذا أمكن ذلك في منزلك أو في الأماكن الخالية كالمساجد والمعابد فيها وإلا فبخلوة الروح والقلب مع ملازمة المدرب الروحي ولا أحب لك مدربا إلا ما أحب لنفسى وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقائدة المدرب الروحي هو أن يوصل اليك ما تحتمله من الأنوار والتجليات ويدفع عنك الشياطين والجن الذين يكرهون الانسان ويزينون له الشهوات ويوسوسون له بالشبهات والخلوة بالذكر من غير مدرب روحي غير مجدية بل ربما كان ضررها بليغا ومن تتامح الذكر وامتلاء القلب به

بفرع وخوف، وإسباغ الوضوء، والنظر في ملاكوت السموات والدعاء
والحضور في الصلاة لفهم التلاوة.

آداب الخلاء - التسمية، ثم الاستعاذة قبل الدخول، وكشف
الثوب برفق بعد قربته من الأرض، ومسح اليد بالثوب بعد الاستنجاء
مع الغسل، والاستئثار قبل الخروج، والحمد والشكر بعد الخروج.

آداب الحمام - ستر العورة، وغض البصر عن العورات، وطلب
الخلوة، وترك التكلم، وقلة التلفت، ومنع السلام، وقلة الجلوس، وغسل
الجنابة من قبل الدخول، وغسل القدمين إذا خرج بالماء البارد فإنه
يذهب الصداع.

آداب الوضوء - السواك، ودوام الذكر مع الغسل، واستشعار
الهيبة من يقصد، وبالتوبة مما كان، والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل في
الصلاة، والطهارة في أثر الطهارة، وأخذ الشارب، ونتف الإبط، وحلق
العانة، وتقليم الأظافر، والاختتان، وغسل البراجم، وتعاهد الأنف،
ونظافة الثوب والبدن.

آداب دخول المسجد - يبدأ باليمين، ويزيل ما في نعله من الأذى،
ويذكر اسم الله عز وجل، ويسلم على من حضر، فإن كان خالياً سلم على
نفسه، ويسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته، ويجلس في مواجهة

= أن يقل الغذاء وربما يطوى بعض الصوفية الذاكرين يومين من غير
أكل رأيت ذلك من أحد العارفين الذين صحبتهم طريق القوم.

القبلة ، ويلزم المراقبة ، ويقل المخاطبة ، ويترك الملاعنة ، ولا يرفع فيه صوته ، ولا يشهر فيه سيفه ، ويمسك بنصال نبله ، ولا يصنع صنعته ، ولا يثمد ضالة ، ولا يبابع ولا يشارى ولا يجامع ، فإذا انصرف بدأ باليسرى ، وسأل الله تعالى من فضله ما يعطى .

آداب الاعتكاف - دوام الذكر ، وجمع الهم ، وترك الحديث ، ولزوم الموضوع ، وترك التنقلات ، وحبس النفس عن مرادها ، ومنعها من محابها ، وجبرها على طاعة الله عز وجل .

آداب الأذان - يكون المؤذن عارفاً بوقته في الصيف وفي الشتاء ، غاضاً لطرفه عند صعود المنارة ، ويلتفت في أذانه عند النداء بالصلاة والفلاح ، ويرتل الأذان ، ويحذر في الإقامة .

آداب الإمام - يكون عارفاً بالصلاة وفرائضها وسننها ، فقيها بما يحدث له في صلاته وما يفسدها ، ولا يؤم قوماً وهم له كارهون ، يجعل من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف ، ويشير إليهم بلطف ، ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا ، ولا يطيل التسبيح فيملوا ، ولا يخفف بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة على قدر قوة أضعفهم ، ويترفق في ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا ، ويسكت سكتة قبل الحمد ، وبعد الحمد . وإذا فرغ من السورة ، وينتظر في ركوعه من أحس به مالم يحذف بمن وراه ، وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه مالم يخف فوت وقته ، ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة ، وإذا فرغ نظر إلى ستر الله عليه ومنتته ، وازداد شكراً لسيدته ، وأدام له في كل حالاته الذكر .

آداب الصلاة - خفض الجناح ، وازوم الخشوع ، وإظهار التذلل وحضور القلب ، ونفي الوسواس ، وترك التقلب ظاهر أو باطناً وهدوء الجوارح ، وإطراق الطرف ، ووضع اليمين على الشمال ، والتفكير في التلاوة ، والتكبير بالهيبة ، والركوع بالخضوع ، والسجود بالخضوع والتسبيح بالتعظيم ، والتشهد بالمشاهدة ، والتسليم بالإشفاق والاحتراف بالخوف والسعي بطلب الرضا .

آداب القراءة - مداومة الوقار والحيا ، ومجاوبة العيب والخنا ، ولزوم التواضع والبكاء . وخفض الجناح وسؤال الفاقة ، ولجأ الغريق ومعرفة بقدر نفسه ، وعظيم حرمة المستول ، وبسط الكف عند الرغبة ، واليقين بالإجابة والخوف من الخيبة ، وانتظار الفرج وترك العدوان ، وصحة القصد واللجأ ، ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء .

آداب الجمعة - التأهب للوقت قبل دخوله والطمارة عند حضوره ، والبكور ، وغسل الجسد ونظافة الثوب ، وطيب الرائحة وترك التخطي وقلة الكلام ، ودوام الذكر (١) ، والقرب من الإمام .

(١) أقل مراتبه الذكر باللسان قال ابن عطاء الله في حكمة لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فمسي أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز .

والإحصات للخطيب والانتشار لطلب العلم ، والمشي بالسكينة والوقار وترك تشبيك الأصابع ، ويقارب الخطى ، ودوام الإطراق ، وكثرة الشكر للرزاق ودخوله المسجد بالخشوع وورد السلام ، وترك الصلاة بعد تجلس الخطيب على المنبر ، وورد السلام عليه بعد إشارته ، وترك الكلام واعتماد القبول للهو عظة ، وترك الالتفات عند إقباله ومخاطبته وترك القيام إلى الصلاة حتى ينزل من المنبر ، ويفر من الإقامة .

آداب الخطيب - يأتي المسجد وعليه السكينة والوقار ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة ، ويمتنع من التخاطب ، وينتظر الوقت ، ثم ينظر إلى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما يقول على الجبار ، ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخشوع ، ويرتقى بالذكر ويلتفت إلى مستمعيه باجتماع الفكر ، ثم يشير إليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام ثم يجلس للأذان فزعاً من الديان ، ثم يخاطب بالنواضع ولا يشير بالأصابع ، ويعتقد ما يقوله ليلتفت به ، ثم يشير إليهم بالدعاء ، وينزل إذا أخذ المؤذن في الإقامة ، ولا يكبر حتى يسكتوا ثم يفتح الصلاة ويرتق ما يقرأ .

آداب العيد - إحياء ليلته ، والاعتساف في صبيحة يومه ونظافة اليد وطيب الرائحة وإدامة التكبير ، وكثرة الذكر ، واستعمال الخشوع والتسبيح ، والحد بين تضاعيف التكبير ، والإحصات للخطبة بعد الصلاة ، وأكل اليسير قبل الخروج إن كان فطراً ، والذهاب في طريق الرجوع في أخرى ، والانصراف بالإشفاق خوف الغيبة .

آداب الخسوف - دوام الفزع وإظهار الجزع ، ومبادرة التوبة ،
وترك الملل ، ومراجعة القيام إلى الصلاة طول القيام فيها واستشعار الحذر

آداب الاستسقاء - الصيام قبله ، وتقديم التوبة ، ورد المظالم ،
وبذل الهمة وترك المفاخرة ، والاعتسال قبل الخروج ، ودوام الصمت
ورؤية الحالة التي أوجبت المنع ، والاعتراف بالذنب الذي نزلت به
العقوبة واعتقاد ترك العود ، والإنصات للخطبة ، والتسبيح بين التكبير
و كثرة الاستغفار ، وتحويل الإزار مع الدعاء .

آداب المريض - الإكثار من ذكر الموت ، والاستعداد له بالتوبة
ودوام الحمد والثناء لله ، واستعمال التضرع والدعاء ، وإظهار العجز والفاقة
والتداوى مع الاستعانة بخالق الدواء ، وإظهار الشكر عند القوة ، وقلة
الشكوى وإكرام الجلساء ، وترك المصاحفة .

آداب المعزى - خفض الجناح ، وإظهار الحزن ، وقلة الحديث ،
وترك التبسم فإنه يورث الحقد .

آداب المشى مع الجنائز - دوام الخشوع ، وخفض البصر ، وترك
الحديث وملاحظة الميت بالاعتبار ، والتفكير فيما يجيب به من السؤال
والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة ، وخوف حسرة الموت
عجوم الموت .

آداب المتصدق - ينبغي له أداؤها قبل المسألة ، وإخفاء الصدقة عند
العطاء ، وكتبتها بعد العطاء ، والرفق بالسائل ولا يبدوه برد الجواب

ويرد عليه بالوسوسة في الوسوسة ، ويمنع نفسه البخل ، ويعطيه ماسأل
أو يرده ردأجيلا ، فإن عارض العدو إبليس لعنه الله أن السائل ليس
يستحق فلا يرجع بما أنعم الله به عليه بل هو مستحق لها .

آداب السائل - يبدي الفاقة بصدق الحقيقة ، ويظهر السؤال بلطافة
القول ، ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وإن قل ، وحسن الدعاء ، فإن
رد عليه رجع بحميل قبول العذر ، وترك المعاودة والإلحاح (١) .

آداب الغنى - لزوم التواضع ، ونفي التكبر ، ودوام الشكر ،
والتوصل إلى أعمال البر ، والبشاشة بالفقير والإقبال عليه ورد السلام
على كل أحد ، وإظهار الكفاية ، ولطافة الكلمة ، وطيب المؤانسة ،
والمساعدة على الخيرات .

آداب الفقير - لزوم القناعة وكتبان الفاقة ، وترك البذالة والتضمض
وإلقاء الطمع وإيثار الصيانة ، وإظهار الكفاية لأهل المروءة من أهل
الديانة ، وإجلال الأغنياء مع قلة الاستبشار لهم ، وإظهار الكفاية لهم
مع الإيأس منهم ، وترك الكبر عليهم ، مع نفي التذلل ، وحفظ القلب

(١) لعل الأولى حذف مثل هذه التراجم من كتب المسلمين إذ أدري
أن للسؤال أدابا بعد أن ذكر الغزالي في الأحياء أنه حرام تحت عنوان
باب تحريم السؤال من غير ضرورة ومثل هذا آداب الفقير هذه تعاليم تنافي
عزة الاسلام وأهله والأولى أن نكتب الفصول في علاج هذا المرض
واستئصاله من جسم الأمة .

عند رؤيتهم ، والتمسك بالدين عند مشاهدتهم .

آداب المهدي - إرؤية الفضل للمهدي إليه ، وإظهار السرور بالقبول لها ، والشكر عند رؤية المهدي إليه ، والاستقلال لها وإن كثرت .

آداب المهدي إليه - إظهار السرور بها وإن قلت ، والدعاء لصاحبها إذا غاب ، والبشاشة إذا حضر ، والمكافأة إذا قدر ، والثناء عليه إذا أمكن ، وترك الخضوع له ، والتحفظ من ذهاب الدين معه ، ونفي الطمع ثانياً .

آداب اصطناع المعروف - البداءة قبل السؤال ، والمبادرة به عند الوعد ، والتوقير له عند العطاء ، والستر له بعد الأخذ ، وترك المنة بعد القبول ، والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه .

آداب الصيام - طيب الغذاء ، وترك المرأ ومجانبة الغيبة ، ورفض الكذب وترك الأذى ، وصون الجوارح عن القبائح .

آداب الحج

آداب الطريق - طيب النفقة ، والإحسان إلى المكارى ، ومعاونة الرفقة والرفق بالمنقطع ، وبذل الزاد ، وحسن الخلق وطيب الكلمة ، والمزاح من غير معصية ، واختيار التعديل ، والاستبشار به عند رؤيته والإصغاء عند محادثته ، وقلة المماراة له عند ضجره ، والتغافل عن زلاته والشكر له عند خدمته ، والتوصل إلى إشاره ومساعدته .

آداب الإحرام - غسل الجسد ونظافة الإزارين ، وطيب الرائحة
وتعاهد الجياح والتلبية بالهيبية ورفع الصوت بحلاوة الإجابة ، والطواف
بمعظم الحرمه ، والسعي بطلب الرضاء ، والوقوف بمشاهدة القيامة ،
وشهود المشعر برؤية الرحمة والحلق برؤية العتق ، والذبح برؤية الكفارة
والرمي برؤية الطاعة ، وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد
والرد بحقيقة الأسف ، والانصراف بحجة الرجوع .

آداب دخول مكة - دخول الحرم بالمعظم والنظر إلى مكة بالتحسر
ورؤية المسجد بالفضل ، ونظر البيت بالكبير والتليل ، ودوام
الطواف ومواصلة العمرة ، ودخول البيت بمعظم الحرمه ، ودوام التوبة
بعد دخوله .

آداب دخول المدينة - يدخلها بالوقار مع السكينة ، والمشاهدة لما
كان فيها من الشريعة ، والنظر إليها بالعين الرفيعة ، ثم يأتي مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته ، ثم يأتي قبره (۱)
وكانه ناظر إلى شخصه الكريم ، ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرتة
كأنه معان لجلسته ؛ فيبدؤه السلام ، ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتهم
له ومشيتهم بينهما ، وإقباله عليهما ، وإذا ودع القبر فلا يوليه الظهر .

(۱) لعلى من محن الإسلام الكبرى أن يظهر في المسلمين علماء ينفرون
المسلمين من زيارة قبر النبي عليه السلام ويتفقون بحديث شد الرجال
وليس هنا محل نقاشهم !!

آداب التاجر - لا يجلس في طريق المسلمين فيضيّق عليهم ، ويستعمل
 غلاماً كيساً لا يبخس في كيله ، ولا ينقص في وزنه ، يأمره بالرجحان
 وترك العجلة في الميزان ، يكون ميزان دراهمه في حدته كالطيّار ، ومن
 اعتداله كالمعيار ، طويلة خيوطه دقيقة ذوائبه ، معبرة صنجاته معتدلة
 حياته ، يبتدىء كل يوم بمسح ميزانه ، ويتصاعد نقص أرطاله وصنجاته
 يأمر غلامه بالترقف في كيله الأدهان ، وإذا وقف عليه شريف أكرمه
 أوجار فضله ، أو ضعيف رحمه ، أو غير هؤلاء أنصفه . يبيع على قدر
 أسعاره إن نقص سعره زاد زبونه ، كما أنه إن زاد سعره نقص زبونه
 وتكون همته في جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم والغلبان
 يشتري عرضه باليسير من سفينة يقف عليه . لا يرد السائل ولا يمنع
 البشر من النائل ، فإن كان هو المتولى لأمره كان ما يلزم غلامه هو أولى
 به ، ويشترى الأرطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات ويبرك
 المدح للسلعة عند البيع ، والذم لها عند الشراء ويلزم الصدق عند الأخبار
 ويحذر الفحش عند المزايدة ، والكذب عند المحادثة ويقل الخوض مع
 أهل الأسواق ومداعبة الأحداث ويقصر في الخصومات .

آداب الصيرفي - يعتقد الصراحة ويؤدى الأمانة ويحذر الربا
 ويقرب الدسئية ولا ينفق الرديئة ويوفى الوزن ولا يعتقد الغش والغبن
 متفقاً لمعياره ، خائفاً من نقصان صنجاته ومثاقيله .

آداب الصانع - استعمال النصيحة ، والاجتهاد في الجودة وقلة النطل
 ووفاء الوعد ، وترك التعدي في الأجرة .

آداب الأكل - غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، والتسمية والأكل باليمين وبما يليه ، ويصغر اللقمة وإجادة المضغ ؛ وقلة النظر إلى وجوه الحاضرين ، وبأكل متكئاً ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع ، ويعتذر إذا شبع حتى لا ينجس الضيف أو من به حاجة ، وبأكل من جوانب القصة ولا يأكل من ذروتها ، وينظف الأصابع بعد الفراغ ، ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينقص على الحاضرين .

آداب الشرب - ينظر في إنائه قبل شربه ، ويسمى الله تعالى قبله ويحمده بعده ، ويمصه مصاً ولا يعبه عبا ، ويتنفس في شربه ثلاثاً تبعه بالتحميد ويرد بالتسمية ولا يشرب قائماً ، ويناول من كان على يمينه إن كان معه غيره .

آداب الرجل إذا أراد الزواج - يطلب الدين ثم بعده الجمال والمال إن أراد ، ولا يشارط على ما يأتية ، ولا يضمه ولا يخطب على خطبة أخيه ولا يأذن في أملاكه وعرضه بما يباعده من ربه ويزريه ، ولا يجلس في خلواته حيث يرى غيره حرمة ، ويقبلها بين أهله وأهلها ويبدوها إذا خلا في سؤاله ، ولا يكون سفيره كذبا ، ولا المخبر له تماماً بل من خاصتها ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها ، وعن حياتها ونظافتها وحسن ألفاظها وقبحها ولزوم عقربيتها وبرها بوالديها ، ويتلطف قبل العقد في النظر إليها ، وبعده بما يبلغها بالسكلام الجميل ، ويبحث عن نكحها والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها .

آداب المرأة إذا خطبها الرجل — تأمر من تأمن به من أهلها إن كان صدوقاً أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته في نفسه وصدقه في وعده وتنظر من قرباؤه ، ومن يغشاه في بيته ، وعن مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته في تجاراته وصنعتة ، ويكون رغبتها في دينه دون ماله أو في سيرته دون شهرته ، تعزم معه على القناعة وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للألفة وأثبت للمودة .

آداب الجماع - طيب الرائحة ولطافة الكلمة وإظهار المودة ، وتقبييل الشهوة والتزام المحبة ، ثم التسمية وترك النظر إلى الفرج فإنه يورث العمى والستر تحت الإزار وترك استقبال القبلة .

آداب الرجل مع الزوجة - حسن العشرة ولطافة الكلمة وإظهار المودة والبسط في الخلوة والتغافل عن الزلة ، وإقالة العثرة وصيانة عرضها وقلة مجادلتها وبذل المونة بلا بخل لها وإكرام أهلها ودوام الوعد الجميل ، وشدة الفيرة عليها .

آداب المرأة مع زوجها - دوام الحياء منه وقلة المارة له ولزوم الطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والحفظ له في غيبته وترك الحياة في ماله وطيب الرائحة وتعهد الفم ونظافة الثوب وإظهار القناعة واستعمال الشفقة ودوام الزينة وإكرام أهله وقرابته ورؤية حاله بالفضل وقبول فعله بالشكر وإظهار الحب له عند القرب منه وإظهار السرور عند الرؤية له .

آداب الرجل في نفسه - لزوم الجمعة والجماعة ونظافة الملابس وإدانة السواك ولا يلبس المشهور ولا المحقور ، ولا يطيل ثيابه تكبراً

لا يقصرها تمسكنا ، ولا يكثر التلفت في مشيته ، ولا ينظر إلى غير حرمة
ولا يبصق في حال محادثته ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه
ولا يكثر لإخوانه الحديث عن زوجته وما في بيته .

آداب المرأة في نفسها — أن تكون ملازمة لمزلها ، قاعدة في قعر
بيتها ، لا تكثر صعودها ولا اطلاعها للكلام جيرانها ، ولا تدخل عليهم
إلا في حال يوجب الدخول تسربلها في نظره ، وتحفظه في غيبته
ولا تخرج من بيته وإن خرجت فمتخبئة تطلب المواضيع الخالية
مصونة في حاجاتها بل تتماكر بمن يعرفها ، همتها إصلاح نفسها وتدبير
بيتها مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة في عيها متفكرة في دينها دائمة
صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائفة ليعلمها تحمته على
طلبه الحلال ، ولا تطلب منه الكثير من النوال ظاهرة الحياء قليلة
الحناء صبور شكور مؤثرة في نفسها مواسية من حالها وقوتها وإذا
استأذن بياها صديق ليعلمها وليس يعلمها حاضراً لم تستفهمه ، ولا
في الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها ويعلمها منه .

آداب الاستئذان — المشئ بجانب الجدار ولا يقابل الباب والتسبيح
والتحميد قبل الدق والسلام بعده وترك السمع إلى من في المنزل
واستئذان بعد السلام فإن أذن له وإلا رجع ولم يقف ولا يقول أنا
بل يقول فلان إذا استفهم .

آداب الجلوس على الطريق — غض البصر ونصر المظلوم وإغاثة
الملموف وإغاثة الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل
وترك التلفت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق واللعطف فإن أصر

فبالرفاهة والعنف ولا يصفى إلى الساعى ببينة ولا يتجسس ولا يظن
بالناس إلا خيراً .

آداب المعاشرة - إذا دخل مجلساً أو جماعة سلم وجلس حيث المتسع
وترك التخطى وخص بالسلام من قرب منه إذا جاس وإن بلى بمجالسة
العامة ترك الخوض معهم ولا يصفى إلى أراجيفهم ويتغافل عما يجرى
من سوء ألقاظهم ، ويقل اللقاء لهم إلا عند الحاجة ولا يستصغر أحداً من
الناس فيهلك ولا يدرى لعله خير منه وأطوع لله منه ، ولا ينظر إليهم بعين
التعظيم في دنياهم لأن الدنيا عند الله صغيرة ما فيها ولا يعظم قدر الدنيا في
نفسه فيعظم أهلها لأجلها فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال
من دنياهم فيصغر في أعينهم ولا يعاديهم فتظهر لهم العداوة ولا يطبق ذلك
ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة في الله عز وجل فيعادي أفعالهم
القيحة وينظر إليهم بعين الشفقة والرحمة ، ولا يشكر إليهم في مودتهم له
ولا كرامتهم إياه وحسن بشاشتهم في وجهه وثنائهم عليه فإن من طلب
حقيقة ذلك لم يجده إلا في الأقل وإن سكن إليهم وكاه الحق إليهم فملك
ولا يطمع أن يكونوا له في الغيب كما هم له في العلانية فإنه لا يجد ذلك أبداً
ولا يطمع فيما في أيديهم فيبذل لهم ويذهب دينه معهم ولا يتكبر عليهم ،
وإذا سأل أحداً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقضها فلا يذمه
فيكتب عداوته ولا يعظ أحداً منهم إلا أن يرى فيه أثر القبول وإلا
عاداه ولم يسمع منه ، وإذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو ثناء فإيرجع
بذلك إلى الله عز وجل ويحمده ويسأله أن لا يكاه إليهم ، وإذا رأى

منهم شراً أو كلاماً قبيحاً أو غيبة أو شيئاً يكرهه فليقل الأمر إلى الله تعالى ويستعذبه من شرهم ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فإنه لا يجد عندهم للعتاب مرضعاً ويصيرون له أعداء ولا يشفي غيظه بل يتوب إلى الله من الذنب الذي به سخطهم عليه، ويستغفر الله منه ولا يكن سميماً الحقهم أصم عن باطلهم آداب الولد مع والديه - يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمثل لأمرهما ويلبي دعوتهما ويخفض لها جناح الذل من الرحمة ولا يرهقهما بالإلحاح ولا يمين عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر إليهما شراً ولا يعصى لهما أمراً .

آداب الوالد مع أولاده - يعينهم على بره ولا يكفهم من البر فوق طاقتهم ولا يبلع عليهم في وقت ضجرهم ، ولا يمنعهم من طاعة ربه ولا يمين عليهم بتر بيته .

آداب الإخوان - الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشجيع عند القيام والإنصات عند الكلام ، وتكره المجادلة في المقال وحسن القول للحكيات وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الأسماء .

آداب الجار - ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في مرضه ويعزبه عند مصيبتة ويهنئه في فرجه ويتلطف لولده وعبدته في الكلام ويصفح عن زلاته ومعاتبته برفق عند هفوته ويغض عن حرمة ، ويعينه عند صرخته ، ولا يديم النظر إلى خادمته . آداب السيد مع عبده - لا يكافه مالا يطيق من خدمته ويرفق به

عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سبه فيجبر أعليه ويصفح عن زلاته ويقبل
معذرتة وإذا أصلح له طعاماً أجلسه معه على مائدته وأعطاه إقاماً من طعامه .
آداب العبد مع سيده - يأتمر لأمره ، وينصحه في غيبته ، ويبذل
له خدمته ويحفظه في حرمة ويرق على ولده ولا يخونه في ماله .

آداب السلطان مع الرعية - استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر
قبل الأمر . وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم ، والتودد
لى العامة مع مزج الرهبة لهم ، والتطلع على أمور الحاشية واستعمال
المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الأصحاب والأقارب ، والرفق
فى الجنابة ودوام الحماية .

آداب الرعية مع السلطان - قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة
به إلا شئ يلزم أمره ، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق ، وترك
الاستجراء عليه وإن كان ذا لين وقلة السؤال وإن كان مجيباً ، والدعاء
له إذا ظهر ، وترك الكلام فيه والإفشاء إذا غاب .

آداب القاضى - إيمان السكوت واستعمال الوقار وهدوء الجوارح
ومنع الحاشية من الفساد والظغيان والرفق بالأراذل والاحتياط لليتيم
والتوقف فى الجواب والرفق بالخصوم ومنع الميل إلى أحد الخصمين
والموعظة للمخالف ودوام اللجأ إلى الله فى صواب القضاء .

آداب الشاهد - استعمار الأمانة وإظهار الصيانة واستعمال
الديانة وترك الخيانة والتثبت فى الشهادة والتحفظ من الغشيان وقلة
المجادلة للسلطان .

آداب الجهاد - صدق النية والعزيمة لله تعالى وبذل الجهود والسخاء

بالمهجة ونفي شهوة الرجوع والقصد في أن تكون كلمة الله هي العليا
وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند
القتال وفي كل حال .

آداب الأسير - لا يؤذ من فرجا من غير الله تعالى ولا يبذل نفسه
في معصية الله تعالى ، ولا ييأس من روح الله تعالى ، ويجمع همه بين
يدى الله تعالى ، ويعلم أنه بعين الله ولا يندسط في مال العدو بما لا يبيحه
الله تعالى ، ولا يفزع إلى غير الله تعالى .

آداب جامعة

قال بعض الحكماء من الأدب : ألق صديقك وعدوك بوجه الرضاء
من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقر من غير كبر ، وكن في جميع
أمورك في أوساطها ، ولا تنظر في عطيك ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف
على الجماعات ، وإذا جلست فرفع وتحذر من تشبيك أصابعك والعبث
بخطمك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وطرذ الذباب عن وجهك
وكثرة التمطي والتشاوب ، وليكن مجلسك هادئا وكلامك مقسوما واصغ
إلى الكلام الحسن ممن يحدثك بغير إظهار العجب منك ولا مسكنة ولا
إعادة وغض من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك
ولا جارتك ولا تتصنع كما تتصنع المرأة ، ولا تبدل كما يتبدل العبد .
وكن معتدلا في جميع أمورك وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن
ولا تلح في الحكايات ولا تعلم بمالك ولدك فضلا عن غيرهم فإنهم

إن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ إلى رضاهم وأجهم
من غير عنف وإن لهم من غير ضعف وإذا خاصمت فتفكر ، وتفكر
في حجبتك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تبحث على ركبتك وإذا هدأ
غضبك فتكلم وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر ، ولا تأمل
من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكله بما يشاء ، وإياك أن
تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ولو كان مستمعاً لذلك ، وإياك
وصديق العافية فإنه أحد الأعداء الك ولا تجعل مالك أكرم عليك من
عرضك ، وإياك وكثرة البصاق بين الناس فإن صاحبه ينسب إلى التأنيت
ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك فإنه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة
ولا تمازح ليلاً فيحقد عليك ولا سفها فيجتري عليك ، لأن المزاح
يخرق الهيبة ويسقط المنزلة ، ويذهب ماء الوجه ، ويعقب الحزن ، ويزيل
حلاوة السرور ، ويشير فقه الفقيه ، ويجري السفية ، ويميت القلب ويباعد
عن الرب ويعقب الندم ويفتق العزم ويظلم السرائر ، ويميت الخواطر
ويكثر الذنوب ، ويبين العيوب نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى
ويعافينا فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى ويبارك لنا فيما أعطى ويقينا
شر ما قضى فإنه لا راد لما قضى ولا يعز من عادي ولا يذك من والي
تبارك ربنا وتعالى نستغفره ونتوب إليه ونسأله أن يصلي بأفضل
الصلوات كلها على عبده المصطفى وآله وأصحابه أعلام الهدى ويسلم
تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأمين آمين .

تمت



يطلب من :

مكتبة المشكاة

٩١ شارع جوهر القائد بسيدنا الحسين بمصر - تليفون ٨٠٨

المطبوعات الآتية

- ١٠ تفسير جزء عم للعارف بالله الشيخ أبي محمد يوسف بن اسماعيل
وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلا المفتش بمسجد
والإرشاد بالأزهر الشريف .
- ٢٠ منهاج العابدين إلى الجنة . ومعها الكشف والتبين في فروع
أجمعين وبداية الهداية لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد القزويني
عليه الامتياز الشيخ المرحوم محمد محمد جابر المفتش بالأزهر الشريف .
- ٣ مراتب الوجود وحقبة كل موجود
- ٣ نسيم السحر للامام الجليل بتحقيق وتعليق الأستاذ بدوي طه
المدرس بالمدارس الاميرية .
- ٣ هم بطنى عبطنى للعارف بالله الجنيدى وتقديم الأستاذ بدوي
- ٣ اعلام اهل البلد الحرام بأن بيع دور مكة وأخذ الكراه عنها
المكروه والحرام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود حسن ربيع
بالأزهر .
- ٢٠ ديوان خطب ومواعظ الجنيدى ومعها متابعة الاسرار ومواعظ
الانوار ، للعارف بالله تعالى ، محمد الجنيدى ، المشهور بالمسكين .

يطلب من :

مكتبة المشكاة

٩١ شارع جوهر القائد بسيدنا الحسين بمصر - تليفون ٨٠٨

المطبوعات الآتية

١٠ تفسير جزء عم للعارف بالله الشيخ أبي محمد يوسف بن اسماعيل

وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى أبو العلا المفتش بمسجد

والإرشاد بالأزهر الشريف .

٢٠ منهاج العابدين إلى الجنة . ومعها الكشف والتبين في فروع

أجمعين وبداية الهداية لحجة الاسلام الامام أبي حامد محمد القزويني

عليه الامتياز الشيخ المرحوم محمد محمد جابر المفتش بالأزهر الشريف

٣ مراتب الوجود وحقبة كل موجود

٣ نسيم السحر للامام الجليل بتحقيق وتعليق الأستاذ بدوي طه

المدرس بالمدارس الاميرية .

٣ هم بطنى عبطنى للعارف بالله الجنيدى وتقديم الأستاذ بدوي

٣ اعلام اهل البلد الحرام بأن بيع دور مكة وأخذ الكراء عنها

المكروه والحرام لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود حسن ربيع

بالأزهر .

٢٠ ديوان خطب ومواعظ الجنيدى ومعها متابعة الاسرار وم

الانوار ، للعارف بالله تعالى ، محمد الجنيدى ، المشهور بالمسكين .

المنقاة من الضلالة

ومع

كليات السعيا والبقول عند العشرة والأدب في الدين

للامام حجة الاسلام

ابن حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه

نطبق وتصحيح

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد محمد جابر

المنش بالأزهر والمعاهد الدينية

حقوق الطبع محفوظة

طلب من

مكتبة البكتلة

بسيدينا الحسين بمصر تليفون ٧٤٥١٨